

سكان القطر المصري وهذه الأمراض من السهل تجنبها والوقاية منها اذا اتبعت الشروط الصحية كعزل المصاب بمرض عنق وتطهير قاعته وملابسه وفرشه وافرازاته والوقاية الصحيحة بالتطعيم بالمادة الجدرية أو بالمصل الخاص بالدفتريا وغيرها عند ظهورها الأمراض العفنة التي لها نصيب عظيم في الوفيات هي الحصبة والدفتريا والجدرى والسل والحمى التيفودية وكلها أمراض سهلة الاجتناب باتباع الشروط الصحية



الهداية

القاهرة في رجب وشعبان سنة ١٣٢٨ هـ يوليو وأغسطس سنة ١٩١٠ م

استدراك الفئات

بسم الله الرحمن الرحيم

فقله تعالى (اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) دال على أظهار آيات الله وألصقها بالمخاطبين لأنها في أصل تكوينهم وخلقتهم. وقد جادت أيضاً كما سبق الرد على الدهريين والماديين الذين يقولون «ان هي الا أرحام تدفع وأرض تبلى» فلا آية السكينة ترجع بهم الى تدبر نشوئهم وتكوينهم وخلقتهم ثم تذكرهم بان آباءهم وان كانوا أصل وجودهم ففاهم بمصورهم في الارحام ولا خالقهم في الانام وكيف وهم جميعاً متساوون في الحدوث والافتقار الى من يوجدهم من عدم ويخلقهم من نقطة ويهمهم السمع والابصار والافتدة ويصورهم بشراً سوياً. ومن كان هذا هو شأنه مع خلقته وجبت عليهم عبادته وطاعته (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أَرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا. إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) على أن تكليف الله خلقه بعبادته ليس مرده

الى الله الذي هو الغنى الحميد وانما غايته اصلاح حال البشر أنفسهم وتقويم شؤونهم وتهذيب نفوسهم وترويضها على الخير وحسن المعاملة حتى يستقيم معاشهم ويطمئن معادهم. ذلك لان عبادة الله تعالى تذكر أصحابها بجلال الله تعالى وعظمته وتحذّرهم بأسه وبطشه وتبلغهم ثوابه ورحمته. ومن هنا كانت عبادة الله تعالى متى استوفت شرائطها خير ما يبعد الانسان عن عمل اقترافه السوء واستطابته مضارة غيره وعن استمتاعه بالبغي والجور واسترساله مع هواه في استباحة الحرّات واجتراح السيئات. لذلك ختمت الآية بقوله تعالى «لعلكم تتقون» على ارادة أن الله تعالى انما كلفكم بعبادته وتوحيده عسى أن تستقيموا بذلك تذكره واستحضار عظمته وقدرته البالغة فتتقوا بذلك مواطن العدوان والبغي ومعاهد الفحشاء والمنكر فتسلم بذلك معاملاتكم وتطيب دنياكم وآخرتكم. ذكرهم الله تعالى في هذه الآية بما فعله في سبيل ايجادهم وايجاد آبائهم الذين من قبلهم ثم أخذ يشرح لهم آثار نعمته عليهم ويبين لهم صنوف ما ذلّل لهم من خلقته منا واحساناً فقال:

(الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ إِندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)

يعنى أن من نعمه تعالى التي أسبغها عليهم أن جعل لهم الارض فراشاً أى كالفراش موطأة ممهدة مقررة مثبتة بالشواخخ الراسيات ليسهل عليهم السير فيها في سبيل ما ربهم وليتمكنوا من حرثها واستخراج كنوزها ودفائها التي أودعها الله في جوفها

وقد استدل كثير من المفسرين بهذه الآية على أن الارض ليست

بكرة قال الفخر الرازي: وهذا بعيد جداً لان الكرة اذا عظمت جداً كانت القطعة منها كالسطح في امكان الاستقرار عليه ثم تكلم الرازي في سائر منافع الأرض وصفاتها فقال: (المنفعة الأولى) الاشياء المتولدة فيها من المعادن والنبات والحيوان والآثار العلوية والسفلية مما لا يعلم تفاصيلها الا الله تعالى ... (الثانية) اختلاف بقاع الارض فمنها أرض رخوة وصلبة ورملة وسبخة وحررة وهى قوله تعالى «وفي الارض قطع متجاورات» وقال: «والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكداً». (الثالثة) اختلاف ألوانها فأحمر وأبيض وأسود ورمادى اللون وأغبر على ما قال تعالى «ومن بالجلال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرايب سود» (الرابعة) انصداعها للنبات قال تعالى: «والأرض ذات الصدع» (الخامسة) كونها خازنة للماء المنزل من السماء واليه الاشارة بقوله تعالى: «فانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكنناه في الارض وانا على ذهابه لقادرون» وقوله: «قل أرايتم ان أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين» (السادسة) ما فيها من المعادن والفلزات واليه الاشارة بقوله تعالى: «والارض مسدناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شئ موزون» ثم بين بعد ذلك تمام البيان فقال: «وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم: (السابعة) الخبء الذى تخرجه الارض من الحب والنوى قال تعالى: «ان الله فالق الحب والنوى» وقال «يخرج الخبء في السموات والأرض» ثم ان الارض لها طبع الكرم لانك تدفع اليها حبة واحدة وهى تردّها عليك سبعائة «كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة»: (الثامنة) حياتها بعد موتها قال تعالى أولم يروا أنّنا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعاً» وقال «آية لهم

بالفاظ لا يبلغها البلقاء ويمجز عنها الفصحاء فقال: « وهو الذى مدّ الارض وجعل فيها رواسى وانهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين » . انتهى ببعض تصرف

* *

الاستاذ الشيخ عبد العزيز جاويز

(بين يدي القضاء)

ألف الشيخ على الغايى المصحح بجريدة العلم كتاباً سماه (وطنيتى) جمع فيه القصائد التي نظمها ونشرها في الجرائد وأضاف اليها بعض قصائد أخرى وقد رجا من حضرتى محمد بك فريد رئيس الحزب الوطنى ومن الاستاذ الشيخ جاويز ان يكتب له كلمة لتكون بمثابة مقدمة للكتاب ففعل ذلك ولما ظهر الكتاب رأت الحكومة فيما تضمنه شيئاً يقع تحت طائلة القانون فرفعت الدعوى على مؤلفه ولم تكف بذلك بل رفعتها أيضاً على الاستاذ الشيخ جاويز باعتباره فاعلاً أصلياً مع الغايى أو شريكاً له او محسناً لجرمته ورفعتها أيضاً على كل من الشيخ محمد حسن القزوينى والياس افندى دياب بصفتها شر يكين للفاعل لانهما باعا الكتاب بعد ان صدر الامر بمصادرته

وقد كان يوم السبت ٦ أغسطس الماضى موعد النظر فى هذه القضية أمام محكمة الجنايات التي انعقدت تحت رئاسة حضرة محمد بك مجدى وبعضوية حضرتى على بك ذى الفقار والمسيو سودان وكان فى كرسى النيابة حضرة توفيق بك نسيم وكان المحامون عن الاستاذ حضرتى احمد بك

الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فنه يأكلون » (التاسعة) ما عليها من الدواب المختلفة الالوان والصور والخلق « وألقى فى الأرض رواسى أن تمشد بكم وبث فيها من كل دابة » (العاشرة) ما فيها من النبات المختلف ألوانه وأنواعه ومنافعه (وأنبثنا فيها من كل زوج بهيج) باختلاف ألوانها دلالة، واختلاف طعومها دلالة، واختلاف روائحها دلالة، فنهيا قوت البشر ومنها قوت البهائم (كلوا وارعوا أنعامكم) اما مطعوم البشر فنهيا الطعام ومنها الادم ومنها الدواء ومنها الفاكهة ومنها الانواع المختلفة فى الخلاوة والحموضة وايضاً فنهيا كسوة البشر لان الكسوة اماناتية وهما القطن والبكتان واما حيوانية وهى الشعر والصوف والابرسم والجلود وهى من الحيوانات التي بثها الله تعالى فى الارض فالمطعوم من الارض والملبوس من الارض وقوله تعالى (ويخلق ما لا تعلمون) اشارة الى منافع كثيرة لا يعلمها الا خالقها ومريدها (الحادية عشرة) ما فيها من الاحجار المختلفة فى : صغارها ما يصلح للزينة فتجعل فصوصاً للخواتم وفى كبارها ما يتخذ للابنية فانظر الى الحجر الذى تستخرج النار منه مع كثرته وانظر الى البياقوت الاحمر مع عزته ثم انظر الى كثرة النفع بذلك الحخير وقلة النفع بهذا الشريف (الثانية عشرة) ما أودع الله فيها من المعادن الشريفة كالذهب والفضة ثم تأمل فان البشر استخرجوا الحرف الدقيقة والصنائع الجليلة واستخرجوا السمكة من قعر البحر واستزلوا الطير من أوج الهواء ثم عجزوا عن ايجاد الذهب والفضة (الثالثة عشرة) كثرة ما يوجد على الجبال والاراضى من الاشجار التي تصلح للبناء والسقف ثم الحطب وما اشد الحاجة اليه فى الخبز والطبخ وقد نبه الله تعالى على دلائل الارض ومنافعها

لطفي ومحمد بك علي وعن الآخرين حضرات محمد بك أبي شادي وعبد السلام
افندي ذهني ووهيب افندي دوس

وبعد مرافعة النيابة والدفاع رفعت الجلسة وعادت في منتصف الساعة
الثامنة بعد الظهر ونظمت بحكمها في القضية وهو حبس الشيخ الغاياتي سنة
مع التشغيل وحبس حضرة الاستاذ الشيخ جاويش ثلاثة أشهر حبساً بسيطاً
مع التنفيذ باعتباره محسناً لجريمة الغاياتي وحبس الشيخ القزويني والياس افندي
دياب شهرين مع إيقاف التنفيذ

هذا وقد اظهرت الجرائد أسفها للحكم على الاستاذ . واننا ننقل للقراء
تعريب بعض ما كتبتته الجرائد الافرنجية في هذا الصدد
قالت جريدة (العلم) بعددها الصادر في ٨ اغسطس تحت عنوان
(حول الحكم) ما يأتي :

وضعت الحكومة قوانينها الاخيرة وفي مقدمتها ذلك القانون القاضي باحالة جنح
الصحافة على محكمة الجنايات فقابلتها الامة بالاستياء وقرر مجلس الشورى رفضها لا سيما
هذا القانون الذي يفقد الصحفيين درجة من درجات المحاكمة ولا يحوهم بالضمانات
التي يتمتع بها القاتلون السارقون في مصر وهي الاحالة على قاضي الاحالة ولا بالضمانات
التي يتمتع بها زملاؤهم في فرنسا وهم المحلفون
أصرت الحكومة على تنفيذ هذه القوانين ضاربة بقرار مجلس الشورى عرض
الحائط زاعمة علي لسان وزرائها ان في احالة الصحافي على محكمة الجنايات اكبر ضمانات
له طاعة بذلك في كفاءة القضاة الجزئيين والابتدائيين

ولقد قلنا وقت ما عزم أولو الامر على تنفيذ هذه القوانين انه لا يقصد بها الا افراد
مخصوصون أو طائفة مخصوصة فلم ترد الحكومة ان تنتظر طويلاً لاثبات قولنا بل سرعان
ما أخذت في تنفيذها لأول مرة على رجل من رجال الحزب الوطني عقب نشرها في

الجريدة الرسمية ولا ندرى الآن ما هو نجماً لبقية زعماء الحزب من أحكام هذه القوانين
وانما لا يزيد في هذه الكلمة التعرض لحكم محكمة الجنايات وانما نريد أن نستند
على حيثياته فيما يختص بالعقوبة على الاستاذ الشيخ جاويش لاثبات ان الاصل في محاكمة
الصحافيين امام محكمة الجنايات هو الرجوع الى رأى المحلفين الذين قضى المشرعون
الاوربيون بإجنادهم بجانب قضاة هذه المحاكم

قال الدناغ عند كلامه علي تهمة تحسين الجرائم « ورد في كتاب الاستاذ (لوبيانقان)
على الصحافة (أن تحسين الجرائم هو تصويرها بصورة مجيدة وتهنته مرتكبها أو تمجيده
علي ما وقع فيلزم ان تدل عبارة التحسين في شكلها على ان غرض المحسن ليس قاصراً علي
مناقشة نظرية أو تأييد نظام بل يجب ان تدل علي ان القصد هو تهيج الشعور)

فيؤخذ من هذا التعريف انه يجب لتحقيق هذه الجريمة توفر ثلاثة شروط الاول
تصوير عمل من الاعمال التي تعتبر جنحة أو جنابة بصورة عمل مجيد أو بعبارة أخرى
مدح هذا العمل واطرؤه . الثاني تهنته مرتكب الجريمة أو تمجيده . الثالث ان يكون
عبارة التحسين تدل بذاتها وفي شكلها على قصد اثاره النفوس وتهيج الشعور لارتكاب
مثل هذا العمل »

وقد اضاف الدفاع علي ذلك بان الشيخ جاويش لم يفعل سوى اطراء الشعر في ذاته
لا اطراء تأليفه ونشره والشعر بنفسه ليس جريمة من الجرائم فهل اهتمت المحكمة لاثبات
توفر هذه الشروط في حيثياتها ؟ كلا ! فان الحثية التي جاءت في الحكم بخصوص تهمة
الشيخ جاويش هي

وحيث ان الذي ثبت للمحكمة من التحقيقات التي حصلت في هذه الدعوى بخصوص
الشيخ عبد العزيز جاويش هو انه في شهر يونيه سنة ١٩١٠ بالقاهرة الى ٢٤ منه والى
١٠ يولييه ٩١٠ قد حسن ومجد وضع كتاب وطنيتي ونشره الذي ثبت انه في حد ذاته
حاو ومشتعل على جملة افعال معاقب عليها قانوناً بصفة جنحة وذلك باذنه ائتمدح هذا
الكتاب بمقدمة وضعها فيه بامضائه وهي مطبوعة تحت عنوان الشعر والشاعر وآخرها
ومن شاء ان يرى نموذجاً من الشعر جمع بين رقة الالفاظ وجزالة المعاني والف بين
احكام التأليف وصدق العبارة فليقرأ شيئاً من وطنيتي ومن شاء فليسال عن آثارها وتأثيرها

الهمم اناهاضة والنفوس المتوقدة والعزائم الصادقة فانها من غراسها وجمل ثمارها الخ
صحيفة ٩ و ١٠ و ١١ و حينئذ فمقوبته علي هذا الامر تكون بمقتضى المادة ١٤٨ و ١٥٤
عقوبات»

فالحكمة لم تثبت في حكمها توفر تلك الشروط بل بنت ثبوت التهمة على محض
احساساتها التي اوحث اليها بان الشيخ جاويز مرتكب لجريمة تمجيد الجرائم مستتجة
ذلك من التحقيقات ولا يخفى ان بناء الحكم على مجرد الاحساس في جريمة يجب لتوفرها
شروط متعددة انما هو منوط بهيئة المحلفين الذين يمثلون الامة في المحاكم فاذا اوحث
اليهم ضمائرهم بان صوت الامة يرى براءة المتهم الذي ينظرون في امره قضا براءته
بدون حاجة الى اثبات عدم توفر شروط الجريمة والا قضا بادانته بدون حاجة ايضا
الى اثبات توفر شروط الاجرام

هذه وظيفة المحلفين وان الهيئة التي جاءت في حكم محكمة الجنائيات لدليل ساطع علي
ان امر ادانة الشيخ جاويز باعتباره صحافياً مقدماً امام محكمة الجنائيات كان من الواجب
ان يوكل الى تلك الهيئة التي تنطق بحكمها باسم الامة التي ترى اذا كان الاستاذ ممجداً
لجرائم الغاياتي او غير ممجدها



على اننا لا نرى ولا يجوز لاحد غيرنا ان يرى في الحكم على الاستاذ بالحبس ما يؤلم
النفوس ويزعج الخواطر فان هذا اهون ما يصاب به رجال الحركة الوطنية في كل بلد
من البلاد وكل عصر من العصور وليس الشيخ عبد العزيز باول رجل حبس وهو في
مثل المركز الذي يشغله والتاريخ امامنا خير شاهد علي ما نقول واتالو اردنا ان نسرده
لقراء اسماء الذين سجنوا وعذبوا ونفوا من رجال الحركة الوطنية لما وسعنا الجلدات
الضخمة والكتب المطولة فسائل السجون عن كموت بطل الجر وواكونيل وبارنل
بطلي ارلندا وجاريلدي ومازيني محرري ايطاليا وميرابو خطيب الثورة وهنري رشفور
مزعزع الامبراطورية ومدحت رئيس الاحرار العثمانيين . سائل السجون عن امثال
هؤلاء تبثك بانهم دخلوها صابرين وغادروها صابرين . واذا لم تحيك السجون فاسأل
فيكتور هوجو كيف قضى ثمانى عشرة سنة وهو منفي شريد مضطهد تطارده الحكومة

في كل بلد ينزل بها وكل بيت يأوى اليه سائل هؤلاء وامثالهم وهم كثيرون في بلاد
الاضطهاد واتل قوله تعالى (ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع وقص من الاموال
والانفس والثمرات وبشر الصابرين)

وجاء في جريدة « الديبش اجيسين » الصادرة في يوم ٧ اغسطس سنة ١٩١٠
بقلم المسيو البان دروجا ما يأتي :

لقد كان لنا الامل في بارقة حكمة وشارة وفاق ولكن خاب املنا . فان العدالة التي
شدت لمزرها يد السياسة قد نطقت بحكمها فيجب علينا ان نطأطي الرأس لهذا الحكم كما
سيفعل ضحايا ذاك القانون الصارم ولكن رأينا لا يتغير فان الحركة الوطنية المصرية لا
يلحقها ضرر من جراء هذه الشدة التي لم تكن منتظرة

سيكون لهذا النبأ وقع سيء في اوربا حينما تعلم ان حكومة اجنبية لما عجزت عن
ايقاف تيار الحركة الوطنية لجأت الى معاملة هذه الحركة الهادئة بلارافة

احل ان المحكمة لم تقنع الا بصوت العدالة ولكن خطأ السياسة كان ظاهراً ذلك
الخطأ الذي ظهر في يوم ظن الناس فيه ان القضاء يجب ان يدعى الى مساعدة سلطة ضاغطة
ونشر الكاتب القدير المسيو دروجا في جريدة الديبش اجيسين الصادرة في ذلك اليوم هذا تعريبه:
القى القبض أول أمس حوالى الساعة التاسعة مساء على زميلنا وصديقنا الشيخ عبدالعزيز
جاويز وسيق في الحال الى السجن طوعاً لحكم محكمة لم تخضع بلاشك حينما أصدرته
الا لصيرها ولكن شدة هذا الحكم لم تدع طبعاً مجالاً لخطأ الوكالة البريطانية

حانت الساعة التي ترفع فيها الصحف أصواتها مع أول ضحية من ضحايا هذا القانون
الاستثنائي ذاك القانون الذى ناق في شدته جميع القوانين التي وضعتها الامة المتسدينة
يجرمها لانه لم يقبل أن يكون بجانب القضاة محلفون . حانت الساعة كما قلت لان رفع
صوتنا عاليا صائحين « لتجيا الحرية »

حينما باغنى هذا الخبر المحزن المفجع الذى كان منتظرا لم يساعدني التأثر الذى
ملكنى الا على أن أخصص بعض سطور لذلك الوطنى الذى رأيت له ليلة الحكم مستسلما
للقضاء استسلام الحكيم هادئ البال مطمئن القواد

قالى ذلك السجين الذى لم يكن نصيبه من الحظ أوفر من نصيب المحتالين والقتلة

ان حظ زميلنا الذي سينبثونا عنه التاريخ لحظ يغبط عليه وكفاه أن يعلم ان الصحافة في العالم اجمع ستستاء معنا لسكوته مدة ثلاثة اشهر وكتب الكاتب التقدير مسيو كلرا في جريدة الاجييت بعددها الصادر يوم ٩ اغسطس ما يأتي:

يزعم المثل القديم ان كل شخص له أربع وعشرون ساعة يلعب فيها قضاته ولكن الامر ليس كذلك في مصر فما أصدرت محكمة الجنايات حكمها الذي ذاع نبأه في الآفاق في قضية الغاياتي المدهشة حتى إلى القبض

على الشيخ جاويش وأودع السجن الرطبة

أن ذلك لمن أسرع الامور وانى لأعجب من سرعة الادارة في استيلائها على غنيمة طالما انتظرتها. ولقد أظهر البوليس حذقا باهر في بضعة أيام فهو وان ترك الفاعل الاصلى — ذلك الرجل الذي لا يهم امره الا قليلا — يلجأ الى الفرار فلم يكن في نيته أن يقصر في القبض على الشريك

على انه ما هو صالحنا اليوم من تقدير الحكم؟ هناك أيام يكون الصمت فيها أفصح من الكلام واننا بدون ان نعطي رأينا أو نضع انتقاداتنا او تناقش حيثيات المحكمة واثقون من معرفة قرائنا لافكارنا ولنكتف بان نقدم للحرية مراسم التكريم المحزنة وان نحني رؤوسنا امام حكم لم يسمح لنا بتوجيه اللوم اليه وأن نتمنى ساعات أسعد من هذه تساعد على نمو الفكر الحر والتسامح السياسى ولكن اذا لم يكن انتقاد الاحكام مسموحا به وعلى الخصوص في حالة ما اذا كانت لا تنتهض فانه لم يحرم علينا بيان حسنات واغلاط اى قانون

لقد دافع بعض الصحافيين في مصر عن القوانين الجديدة التي لم تكن

الذين غفل عنهم البوليس الذى كثيرا ما تعمي بصيرته عنهم. الى ذلك السجن اخصص بكل حرية هذه الصفحة التي ماخرجت عن كونها صدى الحزن الوطنى. حقاني اعترف ان وسائل الرحمة أو الحكم الانساني الذى أساسه تلك الانسانية التي تنفوق في شفقتها جميع العدالات كان من شأنها إيقاعي في الحيرة والارتباك

ولما كان سجن المصرى الذى تدعو كفاءته وجدارته الى الفرع من اليقين الوطنى شيئا مرادا ومقررا فلم يكن في وسعي أن أتوقع من وراء بعد نظر السياسة وحكمة الاحتلال الا براءة ذلك الخصم النابئة. ولهذه الشروط يكون كل ثناء لا تستحقه الحكومة استهزاء بها وتهكما عليها

لقد اقتضت واتبع بلا شفقة ولا رحمة ذلك البرنامج الذى أملاه عليها غضبها الاغنى انها حسنا فعلت فان المواقف قد ظهرت والمراكر قد عرفت

فمن جهة نرى الاستبداد واضحا نرى جميع القوى الشرعية تتخذ وسيلة لمساعدة سياسية جائرة فزعة ووجهة نرى ما يشبه الارهاب الذي حدث ايام الامبراطورية الفرنسية القديمة التي كانت تلبس ثياب الحرية ادعاء ودهانا. ومن جهة أخرى نجد الامة وهي عاجزة الآن مقشعة البدن مجتمعة حول أشرف بانائها الذين تالطم رؤوسهم التي ترفض الانحناء قال عظيم من عظماء الشعراء وشاعر من اولئك الذين يمزهم الشيخ عيد النزيز جاويش قال ذلك الرجل الذي ليس ثمة من شبه يذنه وبين خطة الشعراء الرسميين الذين تخصم الحاشية البريطانية بالشرف وتحجز لهم العطايا قال الفريدده موسيه في اشعاره المؤثرة أن النبوغ اس الآلام وعلى ذلك يكون النبوغ والوطنية اخوين وواسطة عقدتهما الاحزان

ولا جرم ان سجن الشيخ لا يقيد الاقواء المادية ويدع نفسه وفكره يرسلان الانوار على الامة المصرية الحزينة

ماذا يهمه؟ لقد برهن فيما مضى على انه يستطيع ان يضحي المالاذ المبتذلة على مراسح الصراحة ان الحرية في سيرها لا بد ان تقضي على اناس كثيرين وان شرف من يصاب في طريقها ليس من الشرف العادي وسيتكفل المستقبل بتقديم الترضية الكافية الى المحكوم عليه أمس

في ذلك الوقت إلا مشروعا وزادوا في خضوعهم لدرجة تجاوزوا بها جميع الحدود مدعين ان هذه القوانين لم تكن الا حماية للصحافيين وانها لنعمة أغدقها عليهم القابضون اليوم على زمام الامور حتى انهم كادوا يطلبون طبقتها على الزملاء الذين تحميمهم الامتيازات

ولكن حكم أمس سيجعل الامر مستحيلا : سنة مع التشغيل عقابا لاصدار كتاب شعر ثلاثة أشهر حبس عقابا على مقدمة أدبية . عقاب صارم تلم يقلل من شدته سوى إيقاف التنفيذ على مصصح وصاحب مكتبة ! ومهما قالت البروجريه فان رأى العام الاوربي لا يقبل ذلك أبداً ! وإذا فوجئنا بموافقة السياسة لذلك فان احتجاجات جميع البرلمانات تقف حجرة عثرة في سبيل ذلك الاصلاح المنوى لان جرائم الافكار والآراء ليس لها وجود في البلاد المتقدمة . كما انه لا ضرر من انتقاد الصحف لاعمال الوزراء . نعم ان ذلك يرجع الى الدستور الذى اتخذه كل حكومة . اما في الحكومات الاستبدادية فشكل شيء يسمح به كل شيء سوى ما لم يكن من المهارة في شيء

ونحن نعتبر سياسة الارهاب التي أدخلت في مصر ليست من المهارة في شيء وان الطيبة التي فاقت الحد لا تقود الا الى الفوضى وان الشدة التي زادت عن الحد اللائق لا تهنيء الا الهياج ومع ذلك فهناك أمور اذا استعملت الشدة حيالها لا ينجم عنها ضرر ولكن طعن الامة في كرامتها طعن في افكارها طعن في احساسها الوطني ما هو الا ارتكاب شطط كبير وان هذه الطريقة لا تطفىء حمية ناشئة أشربت حب الاستقلال بل على النقيض من ذلك فانها تزيدها اشتعالا وتهنيء اجيالا جديدة تغرس في قلوبهم ذكرى اضطهاد

الشهداء وتشتمل في فؤادهم نيران الحق والحفيظة على رجال الاضطهاد وذلك فوق حبهم الشديد لوطنهم

وحينا لا تستطيع أمة قوية الاستيلاء على قلوب أمة أخرى تنقل كاهلها بتأثيرها النافع (؟) يجب عليها ان تقتصر على عدم الاكترات بها ولكنها ترتكب أفظع الاغلاط اذا هي أوقدت نار البغضاء في مرجل النظام ان حكم المحكمة الذي أصدره قضاة عدول ينقذون قانوناً صارماً لعلامة على اقدامنا على عصر جديد . تقسو فيه السياسة وان هذه السياسة لا تدوم وان انجلترا لا تضطر اليها من أطول يافن العجيب ان شعباً يرى الحرية الشخصية من اقدس الحقوق يلجأ الى توطيد سلطته باتباع وسائل منافية لهذه الحرية ان انصر حاجة الى سن قوانين كثيرة وبذل جهد كبير واتمام اصلاح عظيم قبل أن يعلن على الصحافيين حرب شعواء . حقاً ان الصحافيين يعبرون عن رأى العام للامة ولذلك فجميع الوسائل التي تستعمل ضد كرامتهم وضد حريتهم لا تمسهم وحدهم بل هي اهانة كبيرة وجهت الى من ينبون عنهم الى من يعبرون عن آرائهم الى من وثقوا من اقدامهم ويقينهم وشرفهم

ان هناك رجالا يملكون محبة الشعب لتضحياتهم انفسهم في سبيل النضال الفكري ولوصول بعض الاذى اليهم في هذا الميدان

وان ثلاثة اشهر حبس لهي خير للاعلان عن الصحافي من الفضائل العظيمة والكفاءة النادرة ومع ذلك فالشدة لا تستطيع أن تغلب على اليقين

وكتب جناب مسيو كستر مقالاً في جريدة البورص الصادرة أول امس جاء فيها ما يأتي يلوح لي ان الناس قد نظروا في الحكم علي الشيخ جاويز بعين الغرض واعني بالناس انصار الشيخ جاويز واخصامه اما من جهتي فاني آسف لهذا الحكم وان قرائي يعرفون آرائي الخصوصية في هذا الموضوع واني اريد ان اخص الحكم كالطيار الذي يشاهد ما يحدث تحت طيارته

واني أرى في الفقرات المعاقب عليها في مقدمة الشيخ جاويز قصداً لا أمراً وإذا

لم اكن مخدوعا فان القانون لا يعاقب القصد وانما يعاقب الامور وان المقدمة في ذاتها كما يلوح لي لم تكن مكونة لامر واعنى بذلك امرأ يعتبر جنحة او جنابة ولكي نستطيع ان نعتبها بذلك يجب ان تكون معينة تعييناً دقيقاً بصفة تجعلها مدحاً لامور معتبرة جريمة وبناء على ذلك ناني لا ارى ما يقع تحت طائلة القانون في الفقرات التي طلبت النيابة العقاب عليها واما كون الشيخ جاويش مدح شخصياً كتاب « وطنيتي » فلا يستتبع منه ان هناك جنحة ان عبارات هذه المقدمة — وعلى الاقل كما وضع لنا من ترجمتها — لا تفوق حد

ما يظهر في عالم الكتابة من هذا النوع فان هذه العبارة غير معينة وعامة وعلى الاخص أدبية واني لا ارى فيها سياسة خفية بل يرسل اليك أحد المؤلفين كتاباً فمن الممكن دون مشاطرته جميع افكاره ان تقر يظ كتابه اذا كان شكله او موضوعه ذا قيمة فبدون اطراء القتل السياسي قد أصبح مثلاً كتاب القصاص (ليشاتيمن) لفكتور هيجور من المؤلفات الجليلة وبالحرى فالشيخ جاويش الذي يقاسمه في افكاره مؤلف كتاب وطنيتي يمكنه ان يحض على مطالعة كتاب وطنيتي ولقد كتب ذلك بطريقة يظهر لي انها لا تقع تحت طائلة العقاب اني لا اريد ان يزدري قرائي بما ارجب في قوله فاني اعتبر كتاب وطنيتي من الوجهة السياسية مضرراً بليغاً ومعاقباً عليه ولكن مقدمة الشيخ جاويش يظهر لي ان لا عقاب عليها واني اسف للحكم بعقاب شديد لجريمة من جرائم الافكار على صحافي احارب آراءه وافكاره على صحافي يلوح لي انهم تشددوا في الحكم عليه

واني أعلم حق العلم انه يعتبر عائداً في نظر القانون ولكني أقول بكل صراحة اذا كان الحكم الاول الذي حكم به عليه يمكن تبريره بالشدة التي اتبعها في كتاباته في اللواء فان الحكم الاخير يظهر انه شديد جداً لان معظم القصاصات التي جاءت في وطنيتي نشرت على ما اعتقد في اللواء او العلم ولم تهتم النيابة بامرها مطلقاً وينتج من ذلك اما ان الشيخ جاويش يحاكم مرتين على امر واحد واما ان النيابة غيرت رأيها وذلك يدع بجلا عظيماً نالشك في اساس الاتهام

وان القضاء سواء كان مصرياً او فرنسياً او انجليزياً او ألمانياً او ايطالياً قد أظهر ارتياحه من وقوف الصحفيين بين يديه ليجمعهم يشعرون بقوة وسلطة القوانين التي يعمل بها وقد يحدث احياناً ان تضطر المهنة الصحافي الى انتقاد بعض احكام المحاكم بدون سوء قصد البتة . وليس في ذلك شيء مدهش فالقانون صاحب السلطة العليا ولكنه لا يخلو من الخطأ ولذلك فانهم يغيرونه مراراً وليس القضاء الا انساناً مثلنا وذلك الوسام او

ذلك الرداء الذي يحملونه لا يعصمهم عن الخطأ ولا يقيهم من الزلل ولهم في قول كورني خير عبرة حيث قال « ان الملوك بشر مثلنا يخطئون كما يخطئ سائر الناس »

وجاء في جريدة الجورنال دي كير بتاريخ ٨ اغسطس ما يأتي
افتتحت للشيخ جاويش أبواب السجن للمرة الثانية ولا تزال شدة محكمة الجنابات تنتظر رئيس الحزب الوطني الموجود الآن خارج مصر

ولا جرم ان الحكومة اخذت في تنفيذ سياسة الشدة التي أشار بها السير جراي لاسكتلاند الذي كان يرتفع من الحزب الوطني بقوة عظيمة طالباً بالحرية المصرية وهم يظنون انهم بهذه الوسيلة يضعون حداً لاهياج الوطني ويوقنون نهضة أمة بأسرها تريد ان تشارك الامم الحرة المتحضرة في حياتها الاقتصادية والسياسية وقد نسوا ان التاريخ أمامنا يثبت لنا بانه كلما كانت الحكومات تعتمد الى هذه الوسائل لا تكون النتيجة الا عكس ما ترمي اليه

وانه من الجنون محاربة حياة الامم وهذا الاحتلال الذي يظهر انه يحاول تحقيق ذلك لا يعمل الا على زيادة اشتعال نار النفور والبغضاء ناكثاً بذلك عهوده التي تعهد بها وهي اقامة دعائم السلام والعدالة على شواطئ النيل

نعم ان القضاة الذين حكموا على الشيخ جاويش بسبب كتابة تلك المقدمة لم يسعوا الا صوت ضمائرهم ولم يروا في القضية التي عرضت عليهم الا واجب تطبيق القانون على الجريمة ولكن حكمهم مهما كان عادلاً فهو صارم شديد

فان ثلاثة أشهر حبس على مقدمة لم تخرج عن كونها أدبية (اذا سلمنا بالترجمة التي نشرها بعض رصفائنا) عقوبة مبالغ فيها حقيقة !

وان هذه الشدة مضافاً اليها تشدد النيابة في محاكمة الشركاء اكثر من تشدها في محاكمة القاتل الاصل للجريمة ربما يكون من شأنهما ان يدعا الناس يظنون بان اقامة هذه الدتوى ترجع الى السياسة اكثر من رجوعها الى رغبة العمل على احترام القانون لقد جعلت الاهواء السياسية لسألة « وطنيتي » اهمية جاوزت كل حد وقد تركت أنفسنا نقول بان بعض الدوائر لم تكن مستعدة كثيراً من انتهاء الفرصة السانحة لها لقضاء

الاخير على خصومها السياسيين وربما لم يكن هذا مستحيلاً
بقي علينا الآن ان نعرف نتيجة هذه السياسة لقد تحدث البعض منذ هذا الصباح في عمل وسام « وطني » ثان للشيخ عبد العزيز جاويش

ولا جرم ان الاوطان الآخذة في النهوض تحتاج الى قوم تسجد لهم كما يعوزها وجود
نفر من الشهداء أيضاً

على اننا لا نبعد كثيراً عن الوقت الذي تفشل فيه تلك السياسة التي ابتدئت بوضع
قانون الصحافة فشلاً تاماً وهناك تهال وجوهنا بشراً لان كل فشل في تطبيق القوانين
الضارة يعد فوزاً وانتصاراً للعقل والعدالة

(اثني اسو جر)

وجاء في زميلتنا الاهرام الغراء تحت عنوان « محاكمة الصحفيين » ما يأتي :

نحن نستنكر معاملة الحكومة للصحفيين الذين يحكم عليهم ولا نزال نالج عليها في ان
ان تسن قانوناً لمصاحبة السجنون يكون كقوانين البلاد الراقية . فلا تسجن من يخالف
قانون الحكومة من أجل رأييه ومذهبه السياسي . مع السارق والقاتل والسفاح . والذي
نلاحظه اليوم على محكمة الجنايات انها تعامل المتهمين الصحفيين معاملة الجناة السفاحين
فتسجنهم في ذلك الفص الحديدي أثناء المرافعة مع ان قضيتهم جنحة بسيطة لا جنائية
كبيرة وهم في محاكم الجنيح لا يجلسون في الاقفاص الحديدية بل في المكان المعد للحمامة
ولا نعرف محكمة من محاكم العالم المتمدن تضع الصحفي في قفص القاتل وحالة قضايها
الصحف على المحاكم الجنائية لا يقصد منها تحويل القضية الى جنائية ليعامل المتهم معاملة
الجنائي بل يقصد منها الاسراع بالحكم فقط واذا كان في استقلال قضاة الاستئناف ضمان -
كما قال سعادة ناظر الجنائية - فانه يجوز لنا ان نطالب أولئك القضاة ان لا يحسبوا
الكتاب مجرماً ضد القانون العام ويوقفوه أثناء المحاكمة بين السيوف والحراب ووراء الحديد المتين
وأما ان تظل محاكم الجنايات على روح القانون من حيث النظر الى حسن قصد
وتقدير الضرر فلا يأخذ بها ولا يملك نفسها انها محكمة جنائية خلقت للصرامة وان كل
من تقدم لها جان يجب ان يحل به اشد العقاب وأصرم الزجر . نعم انها محكمة جنائية
ولكنها لما تعمقت لمحاكمة الصحفيين تصير محكمة جنح لان الجريمة جنحة فقط والواجب
ايضاً ان تنظر الى العرف بين الجمهور فتقوم مقام المحلفين لا ان تمسك بحروف القانون لان
القانون لا يستطيع ان ينص على كل شيء حتي روح التشريع وفلسفة المحاكمة والعقاب

نقول هذا حتي لا يكون قضاة قضاة ضرورة - كما قال سعد باشا - بل ليكونوا قضاة عدل
ينظرون باحكامهم الى الترويض على الانسانية بما خسرته من ارتكاب الجريمة والى العبرة
والزجر . وزجرا لئلا يكون كافياً بقرع العصا فهل يجوز معاملة الاثنين معاملة واحدة

تفسير جزء تبارك

للفاضل المغربي

سورة الملك

٢

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * إِذَا أُلْقُوا
فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقاً وهي تَقُورُ * تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ)

ربما أوهم قوله « وأعتدنا » في الآية السابقة أن عذاب السعير إنما أعد
للسياطين خاصة ، فنفي ذلك الوهم هنا بقوله : (وللذين كفروا الخ) أي
أن عذاب جهنم للكافرين جميعهم : شياطين كانوا أو غير شياطين . (المصير)
الرجع والمآل . من صار أمره الى كذا آل اليه ورجع . والمخصوص بالذم
محذوف تقديره - عذاب جهنم - كأنه يقول وبئس مآل الكافرين أن
يعذبوا في جهنم . و (الشهيق) الصوت الذي يتردد في صدر المرء وهو
ييكى ، والذي يخرج من الجوف بشدة ، ولذلك يسمى نهيق الحمار شهيقاً
أيضاً . (تقور) تغلى كما تغلى القدر . (تميز) أصله تميز . أي تتفرق
أجزاءها وتتقطع من شدة غيظها وحنقها على أولئك الكافرين الذين ألقوا
فيها . وهذا كما يقال في وصف الحزين يكاد يتفطر قلبه من شدة الحزن .
والشهيق والغيظ جُمعا في آية واحدة في سورة الفرقان في وصف جهنم أيضاً

« إِذَا رَأَيْتَهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا ». والزفير هو الشهيق أو قريب منه .

ومعنى الآيات : ان أولئك الكافرين حينما يلقون في جهنم يسمعون لها صوتاً شديداً وهى تغلي ، ويكاد الرائي لها يحسبها من شدة غليانها غضبي على الكافرين بحيث تكاد تنقطع أوصالها من شدة حنقها عليهم . وهل هذا الصوت صوت جهنم نفسها بمعنى أن المواد التي تلهب فيها يُسمع لها هذا الصوت الشديد أو أن المسموع منها هو صوت أهلها الذين سبق القاءهم فيها ؟ -
لم يكلفنا الشرع تعيين أحد الامرين . كما لم يكلفنا أن نعرف جهنم نفسها والجنة وسائر شؤون عالم الغيب معرفة كنهه وتعيين وتحديد . وإنما كل ما على المؤمن أن يعتقد هو أنه تعالى أعدّ داراً للإشرار تسعر فيها النار وتقوم ويُسْمَع لها صوت على المعنى الذي يريد سبحانه وتعالى . أما ما وراء ذلك من اعتقاد أن مواد جهنم وعناصرها وطبائعها وغليانها وأصواتها من جنس ما نعرفه في نار الدنيا فهذا مما لم نكلف به رحمة بنا . اذا القصد أن يؤدي علمنا بها الى الخشية والازدجار . وهذا يحصل بمجرد معرفتها انها موجودة وأن الداخل يشعر من الالم باقصى ما يعده في دار الدنيا . أما معرفة الكنه بما وراء ذلك فبعيد عن المقصود بل ربما أدى الى نقيضه . وأما ان الغيظ والغضب يكاد يقطع أوصال جهنم ويفرق ما بين أجزائها فهذا تمثيل وتصوير لشدة اشتعالها قلما يغيب حسنه عن أوتى حظاً من علم الادب . وتذوق بشئ من خصائص لغة العرب

(كَلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ* قَالُوا بَلَى

قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ* فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ* وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ* فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ)

الكلام متصل بما قبله . فبعد أن وصف دار العذاب جاء هنا يصف لنا أطوار المعذنين فيها : (فَوْجٌ) أى جماعة من الجاحدين (خَزَنَتُهَا) هم الموكلون بها . ويسمون الزبانية . (نَذِيرٌ) رسول من قبل الله ينذركم بطشه ويحذركم عقابه . (بَلَى) حرف تصديق يقع بعد النفي فيفيد إيجابه . وفى الآية لم يكتف بما أفادته «بلى» من الإيجاب ضمناً بل جيء به صراحة : اذ قيل «قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ» ولو لم يصرح به لَعَلَّهم . و (الضلال الكبير) هو أن يبعد المرء عن الحق بعداً شاسعاً . ومنفَعول (نسمع أو نعقل) محذوف أى كلام الرسل وانذارهم وتحذيرهم . (السعير) من اسماء جهنم وهو من سعرت النار فهى مسعورة وسعير مثل مقتولة وقتيل اذا أوقدتا ايقاداً شديداً . (سُحْقًا) بُدْلاً وهلاكاً لهم . وهى من كلمات الدعاء مثل تَبّاً وَجَدْعاً . ويقال فى ضدها سقياً ورعياً وأصل الكلام أسحقه الله سحقاً أى أبعد من رحمته . ومن السحق بمعنى البعد قولهم مكان سحقى بعيد . ونحلة سحقوق طويلة

والمعنى أنه كلما ألقى في جهنم جماعة من المكذبين سألهم القائمون عليها سؤال توبيخ وتقريع - ألم يرسل الله اليكم رسولا ؟ فيقولون بلى أرسله الينا فكذبناه . وأفرطنا في التكذيب حتى جحدنا الوحي السماوى وقلنا ما انزل الله شيئاً مما تدعونه أيها الرسل . ثم ذهبنا فى الجحود والجراة كل مذهب فقلنا لهم : ان أنتم أى ما أنتم معشر الرسل الا بعيدين عن الحق والصواب

أشدّ بعد . ثم قال المسئولون لأولئك السائلين مقال النادم اليأس : لو كنّا سمعنا كلام الرسل كلام اصغاء واخلاص وعقلناه عن تدبر وتفكر لكنّا آمنّا بهم وبالهدى الذى جاءوا به . ولما كنّا الآن فى عداد زوار جهنم ومن جملة الذين يقاسون محرّها ويصلون سعيها . ثم قال تعالى فانظر كيف اعترف هؤلاء القوم بذنوبهم فى وقت لا ينفعهم فيه الاعتراف . ومن كان هذا شأنه فى العناد ومقاومة الحق لا ينبغى الرأفة به . ولا العطف عليه وانما يحسن الدعاء عليه بالسحق والهلاك .

وفى تكرير تلقيهم باصحاب السعير من النعمى عليهم والهزم بهم ما لا يخفى وقعه وبلاغته على الفطن .

وانما سألهم زبانية جهنم هذا السؤال مع أنهم عالمون بهم وبما كان منهم فى دار الدنيا . ليكون ذلك أشدّ نكاية فى تعذيبهم وأكثر إيلاماً لنفوسهم . فانه لا يُرْمَضُ قلب المرء مثل أن يقال له فى حين ظهور خطئه ومقاساته سوء عاقبة ما جنته يده — انك أنت الجانى على نفسك أنت الذى فرطت بما تيسر لك من أسباب النجاة أنت كذا أنت كذا

(انّ الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير)

قلماً يصف القرآن ما أعدّه الله للمكذّبين فى الدار الآخرة من أنواع العذاب الا أتبعه بذكر ما أعدّه للمؤمنين من منازل الكرامة وصنوف النعيم . وهذا هو معتد الاتصال بين هذه الآية وسابقتها على أن لها اتصالاً آخر أدقّ وألطف . ذلك أن المكذّبين لما وردوا جهنم ورأوا ما هالهم أمره من أحوالها وسئلوا عن سبب ورودها — أجابوا بأنهم كانوا يكذبون أقوال

الرسل وينكرون الوحي وما اشتمل عليه من الوعد والوعيد . وحجّتهم فى ذلك أنهم يستبعدون وجود تلك الدار وهم لم يروها بعد . فمهما وضحت لهم صحة الرسالة وقامت القرائن على صدق الرسول فى دعواه اتخذوا عدم رؤيتهم لما بشرّ وأنذر به من عالم الغيب ذريعة لتكذيب الرسول وعدم الاعتداد بقوله فكان أمر الغيب أكبر عقبة فى طريق إيمانهم . أما أولئك (الذين يخشون ربهم) أى يخافون عذابه (بالغيب) أى حال كون ذلك العذاب غائباً عنهم ولم يعاينوا منه أثراً فانهم جديرون بأن يكون (لهم مغفرة) وعفو من الله عن ذنوبهم . (وأجر كبير) فى جنب لذائذ الدنيا الصغيرة

(وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ

بعد أن أنذر المكذّبين وبشّر المصدقين عاد فنبّههم جميعاً الى أنه تعالى عالم بما يكون منهم من إيمان وكفر . ولا فرق عنده بين السرّ والجهر والخطاب وان كان موجّهّاً للطائفتين الا أن سببه ما كان من المكذّبين وهم المشركون : فانهم كانوا يوصى بعضهم بعضاً أن لا يجهروا بما يدور بينهم من الحديث خشية أن يطلع عليه النبي صلى الله عليه وسلم باخبار الله له (ذات) بمعنى صاحبة للمؤنث . كما أن (ذا) بمعنى صاحب للمذكر واذا قال العرب « ذات الخدر » ارادوا المرأة صاحبة الخدر الملازمة له . وكذلك يريدون بذات الصدور الخواطر التى تصاحب الصدور فلا تبرحها وتبقى مخفية فيها

و (من خلق) يمكن تطبيقه فى الاعراب النحوي على وجهين : أما

أَنْ تَجْعَلَهُ فَاعِلًا لِيَعْلَمَ كَأَنَّهُ يَقُولُ : أَلَا يَعْلَمُ الْخَالِقُ ؟ وَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا
 بِهِ لِفِعْلِ يَعْلَمُ . وَيَكُونُ فَاعِلُهُ إِذَا ذَاكَ ضَمِيرٌ يَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ . كَأَنَّهُ يَقُولُ : أَلَا
 يَعْلَمُ اللَّهُ تَعَالَى مَخْلُوقَاتِهِ ؟ وَ (اللُّطْفُ) فِيهِ مَعْنَى الدَّقَّةِ وَصَغَرِ الْحُجْمِ : لَطْفُ
 الشَّيْءِ بِضَمِّ الطَّاءِ صَغُرَ وَدَقَّ حُجْمُهُ فَهُوَ لَطِيفٌ وَإِذَا وُصِفَ بِهِ ذُو الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ
 وَقُلْنَا أَنَّهُ لَطِيفٌ كَانَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى الْأُمُورِ الدَّقِيقَةِ الَّتِي قَلِمَا يَفْطَنُ لِكَيْفِيَّةِ
 عَمَلِهَا أَكْثَرَ الْفَاعِلِينَ . وَذَلِكَ لِدَقِّهَا وَخَفَاءِ أَمْرِهَا . فَهُوَ بِهَذَا الْمَعْنَى قَرِيبٌ
 مِنْ مَعْنَى السَّحَرِ . ثُمَّ أَنَّ الْعَالَمَ بِهَذِهِ الْأُمُورِ الْغَامِضَةِ إِذَا سَلَكَ فِي تَصْرِيفِهَا
 وَتَطْيِيقِهَا عَلَى أَرْبَابِهَا مَسْلَكَ الرَّحْمَةِ وَالرَّفْقِ . وَتَجَنَّبَ طَرِيقَ الْعَنْفِ وَالْخُرْقِ .
 كَانَ مُتَحَقِّقًا فِي مَعْنَى اللُّطْفِ . وَمُسْتَجْمِعًا لِكَمَالِ هَذَا الْوَصْفِ . أَغْنَى وَصْفُ
 (اللُّطْفِ) وَلَيْسَ هُوَ سِوَى اللَّهِ تَعَالَى . فَانْه سَبْحَانَهُ عَالَمٌ بِدَقَائِقِ شُؤْنِ الْبَشَرِ
 مُطَّلِعٌ عَلَى غَوَامِضِ مَصَالِحِهِمْ وَهُوَ يَسْلُكُ فِي إِصَالِهَا إِلَيْهِمْ مَسْلَكَ الرَّفْقِ
 وَالرَّحْمَةِ . وَلِذَلِكَ يَقُولُونَ هُوَ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ وَإِنْ لَطْفُهُ بِعِبَادِهِ عَجِيبٌ : يَرِيدُونَ
 عَنَائَتَهُ تَعَالَى بِكَشْفِ الضَّرِّ عَنْهُمْ . وَإِصَالِ الْخَيْرِ إِلَيْهِمْ . مِنْ حَيْثُ يَخْفَى ذَلِكَ
 عَلَيْهِمْ . وَلَا يَقَعُ جَرَيَانُهُ تَحْتَ مِشَاعِرِهِمْ

وَالْآيَةُ عَلَى وَجَازَةِ لَفْظِهَا تَتَضَمَّنُ قَضَايَا وَتَتَأَخَّرُ آخِذًا بَعْضُهَا بِأَعْنَاقِ بَعْضٍ :
 فَهُوَ تَعَالَى يَقُولُ : أَنَّهُ لَا فَرْقَ عِنْدَهُ بَيْنَ أَنْ تُسَرِّوا خَدِيشَكُمْ بَيْنَكُمْ ، أَوْ تَجْهَرُوا
 بِهِ وَتَسْمِعُوهُ لِلْمَلَأِ لِأَنَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ خَوَاطِرَ قُلُوبِكُمْ . وَمَا يَدْبُ مِنَ الْأَسْرَارِ فِي
 صُدُورِكُمْ . وَلَوْ لَمْ تَنْيَطُوا بِهَا أَجْرَاسُ الْأَلْفَاظِ . فَكَيْفَ لَا يَعْلَمُ الْأَلْفَاظَ الْمَهْمُوسَ
 بِهَا بَيْنَكُمْ هَمْسًا
 ثُمَّ احْتِجَّ عَلَى مَنْ عَسَاهُ يَنْكَرُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى عَالِمًا بِالضَّمَائِرِ وَهُوَ اجْسُ

النَّفْسُ فَنَبَّهَ إِلَى أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي خَلَقَ الْبَشَرَ وَأَوْجَدَهُمْ مِنَ الْعَدَمِ . وَالْخَالِقُ
 يَعْلَمُ الْبَتَّةَ . لَا سِيَّامَا إِذَا كَانَ قَدْ وَصَلَ مِنَ الْعِلْمِ إِلَى الْوُقُوفِ عَلَى أَسْرَارِ الْأُمُورِ
 وَغَوَامِضِ الشُّؤْنِ

هَذَا إِذَا جَمَعْنَا (مَنْ خَلَقَ) فَاعِلًا لِيَعْلَمَ . أَمَّا إِذَا جَعَلْنَاهُ مَفْعُولًا بِهِ كَانَ
 حُلُّ الْمَعْنَى هَكَذَا : كَيْفَ لَا يَعْلَمُ تَعَالَى الْهُوَ اجْسُ الَّتِي تَحِيكُ فِي نَفُوسِ الْبَشَرِ
 وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ هَذِهِ النُّفُوسَ ؟ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ شَيْئًا مِنَ الْعَدَمِ ذَلِكَ الشَّيْءَ
 عِلْمًا كَامِلًا . وَلَا رَيْبَ أَنْ يَكُونَ مِنْ كَمَالِ الْعِلْمِ بِالنَّفْسِ الْعِلْمُ بِمَا تَضْمُرُهُ
 وَمَا تَحْفِيهِ

(هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ
 رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ)

بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ تَعَالَى فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ أَنَّهُ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ذَكَرْنَا مِثَالًا مِنْ
 أَمْثَلَةِ ذَلِكَ اللَّطْفِ الْعَجِيبِ : فَهُوَ تَعَالَى خَلَقَ الْبَشَرَ . وَعَلِمَ أَسْرَارَ طِبَاعِهِمْ
 وَغَوَامِضَ اسْتِعْدَادِهِمْ فَأَمَدَهُمْ مِنْ صُنُوفِ النِّعَمِ بِمَا يَلَامُ حَالَهُمْ . وَيُسَهِّلُ عَلَيْهِمْ
 الْبَقَاءَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا . إِلَّا يَكُونُ هَذَا الْإِمْدَادُ وَذَلِكَ اللَّطْفُ الْمَشَاهِدَةُ
 آثَارَهُ بِأَمِّ الْعَيْنِ بَاعْتِثًا عَلَى خَشْيَةِ الْخَالِقِ وَتَصَدِيقِ أَنْبِيَائِهِ وَالْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ
 الَّذِي أَخْبَرَ بِهِ ؟

أَصْلُ (الذُّلُولِ) الدَّابَّةُ اللَّيِّنَةُ السَّهْلَةُ الْإِنْقِيَادَ . مُشْتَقٌّ مِنَ الذِّلِّ بِكَسْرِ
 الذَّالِ . وَمَعْنَاهُ اللَّيِّنُ . وَالْوَصْفُ مِنْهُ ذُلُولٌ . أَمَّا الذُّلُّ بِضَمِّ الذَّالِ فَهُوَ أَنْ
 يَهُونَ أَمْرَ الرَّجُلِ وَيَصْغُرَ شَأْنُهُ بَيْنَ النَّاسِ وَهُوَ ضِدُّ الْعِزِّ . وَالْوَصْفُ مِنْهُ
 ذَلِيلٌ . وَ (الْمَنَاكِبُ) جَمْعُ مَنْكَبٍ عَلَى وَزْنِ مَجْلَسٍ . وَهُوَ النَّاحِيَةُ مِنْ

كل شيء . فنناكب الارض أطرافها وجوانبها . ومنكبا الرجل جانباه . والمنكب ايضاً في البعير والانسان اسم للموضع الذي يلتقي فيه عظم عضده بكتفه . وهما منكبان . فيحتمل ان يكون المراد بمنكب الارض في الآية جبالها وآكامها . وسميت الجبال والآكام بالمنكب لشخوصها وارتفاعها كارتفاع المناكب في الانسان . وانما خصت الجبال بالذكر لافادة أن الارض غاية في السهولة والانتقياد للانسان بحيث يتسنى له الانتفاع بوعورها وحزونها فكيف يكون مقدار انتفاعه بسهولها وأريافها المنبسطة (النشور) مصدر نشر الميت ينشر من باب دخل عاش بعد الموت . ومعنى كون النشور الى الله أن البعث ومرجع الانسان في نشأته الاخرى اليه تعالى فليس من يحاسبه على أعماله سواه .

قلنا ان هذه الآية تتضمن مثالا من أمثلة لطفه تعالى بالبشر اذ جعل الارض صالحة لسكنائهم فيها . على أن الآية ربما كانت مسوقة لتهديد المكذبين وتذكيرهم بان من يسر لهم أسباب البقاء في هذه الارض قادر على سلبها منهم : فهو يقول لهم : احذروا هذا التمادى في الكفر والتكذيب والانبياء ومحاوله اخفاء ضمايركم . واذكروا أنه تعالى جعل لكم الارض سهلة لينة منقاداة انتقياد الدابة للذلول . اذ فدعوا التكذيب والعناد جانباً . وحافظوا على هذه النعمة . وامشوا في الارض مشى المستثمر المستفيد . وانتفعوا بما هياها لكم فيها من أنواع الرزق . ثم لا تركنوا الى هذا العيش الهنيء فستسلموا الى أهوائكم ووساوس نفوسكم بل تيقنوا أنكم سوف ترجعون بعد النشور من قبوركم الى الله فيحاسبكم ويتنصف منكم وانقياد الارض للانسان ظاهر بالاكثر في الامم الحية التي عرفت

كيف تنتفع بقوى نفوسها ومدارك عقولها الممنوحة لها من قبل العزة الالهية . فهي لم تدع ضرباً من ضروب الانتفاع بهذه الارض الا طالته وحصت عليه : حلات العناصر وركبتها . صهرت المعادن واستعملتها . عرفت طباع الحيوانات وسخرتها . ففقت خصائص النباتات واستنبتها . اكتشفت نواويس المادة وأخضعها . اكتشفت أسرار الكائنات واستخدمتها . غاصت في أعماق الماء . طارت في أجواز السماء . اذا اعترضتها جبال نادتها بصوات البخار من تحتها . واذ انجمت في وجهها قم تسلفت بسلايل سكك الحديد من فوقها . وبالجملة فان في بلوغ البشر هذه الدرجة من الرق مصداقاً لامتنان البارئ تعالى عليهم بجعل الارض ذلولاً لهم يعيشون في مناكبها . ويأكلون من رزقها . حتى يأتيهم الأجل المقدور . ثم الى الله يكون النشور وقد يقال في تصوير كون الارض ذلولاً لنا معشر البشر اننا نعيش محمولين على ظهرها وهي تسير بنا الهويناء في فلكها حول الشمس : لا تبطئ ولا تسرع باكثر مما تستدعيه حال سكانها . ولا تصادم نجماً أو ذنباً لذوات الاذئاب السابحة في الفضاء فكانت نعمت المطية المدربة والذلول المجربة (أَأَمْسُكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْضِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمْسُكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٌ *) لحاق هذه الآية بما قبلها يؤيد أنه وارد مورد التحذير والتهديد على ما سبقت الاشارة اليه :

و (من في السماء) هو الله تعالى . ولكن قام البرهان العقلي على أن الاله الازلي خالق الكل وضابط الكل لا يمكن أن يكون مستقراً في مكان

• ولا أن يحويه مكان • فوجب صرف الكلام عن ظاهره وحمله على معنى يلتحم مع ما أثبتته العقل • والقرآن يفسر بعضه بعضاً : فآية « وهو الله في السموات وفي الأرض » تنفي أن تكون ذات الله في السموات وفي الأرض • إذ كيف يعقل أن تكون الذات الواحدة في مكانين في آن واحد • لا جرم أن يكون المراد بكونه تعالى في السماء وفي الأرض أن مشيئته وحكمه نافذ فيهما • وسلطانه وقهره غالب عليهما • والذي يساعد على هذا التأويل ما جرت به عادة البشر في طورى ضلالهم وإيمانهم من كونهم ينتظرون وصول النعم اليهم • ويتوقعون حلول النعم عليهم من جانب السماء • فهي قبلة خوفهم • ومحراب رجائهم • وصاروا يفهمون من كون الله في السماء عند الاطلاق ان السماء مصدر تصرفه وجريان مشيئته في العالم

(وَحَسَفَ) المكان خسوفاً غاب في الأرض • وخسف الله به الأرض خسفاً غيبه في الأرض • و(تمور) تضطرب وتتحرك حركة أفقية أى بالعرض • وهى أشد حالات الخسف هولا وتخريباً • وقوله (أم أمتهم) اضرب عن التخويف الاول وهو الخسف بهم وانتقال الى تخويف آخر أقرب وقوعاً • وأكثر حصولاً • و(الحاصب) ريح شديدة تثير الحصباء وهى الحصى • وَحَصَّبْتُ الرجل رميته بالحصباء • و(نذير) اصله (نذيرى) بياء المتكلم لكنها حذفت ليشابه الوقوف عليها بالسكون خواتيم الآيات المتقدمة عليها والمتأخرة عنها • ومعني (نذيرى) انذارى • وهو اسم مصدر لا نذر اما مصدره فهو الأ نذار • ذكرهم تعالى بنعمة صلاحية الأرض لمعيشتهم فيها ليبعث هذا التذكير في نفوسهم فضلاً خشية وزيادة ايقاظ • ثم حذرهم عاقبة التماادي في

الجمود وأنه ليس من اللائق بهم ان يأمنوا زوال النعم عنهم • وأن الذى اعطاهم هذه النعم وهو الله تعالى قادر على ان يسلبهم اياها : فبعد ان تكون الأرض ذلولاً صالحة للارتفاع بها تصبح كالفرس الجروح او البعير الصعب • فلا يعود يمكنهم القرار عليها • فترجف وتضطرب اضطراب خسف وزلزال وتبتلعهم • ولا ينتهى التكنيل بهم عند هذا الحد بل تأخذ الأرض بعد ابتلاعهم في المور والتحرك الشديد من فوقهم فيكون هذا أدعى لتراكم الانقاض عليهم • وصعوبة الوصول اليهم •

وكان المخاطبين استبعدوا وقوع الخسف بهم لقلة حدوثه لاسيما في جزيرة العرب فأضرب تعالى عن تهديدهم بالخسف وانتقل الى تهديدهم بعذاب آخر اقرب حصولاً وأكثر حدوثاً في جزيرتهم وهو ارسال ريح شديدة عليهم تحمل الحصى والحجارة وتصكهم بها صكاً قهراً كهم وتستأصل شأفتهم • ولما كان من المحتمل ان يبقوا على عنادهم واصرارهم بحيث لا تنفع نفوسهم للتخويف بالخسف والريح أيضاً سكنت عن كل ذلك ثم أحالهم على المستقبل • فان المستقبل وحده الحكم (بفتح الحاء) فى هذه المسألة • وهو الذى يعلمهم ان كان انذار الله تعالى لهم وتهديده اياهم بالخسف والريح صادقا او غير صادق • وهذا معنى قوله : « فستعلمون كيف نذير » أي سوف يتجلى لكم الحق وصدق الانذار فيما بعد ان بقيتم في عتوكم وضلالكم •

مهما ذكر رجال العلم الطبيعي للخسف والزلازل وهبوب الرياح الزاعزاع عللاً وأسباباً فان ذلك لا يمنع أن يهلك الله بها أقواماً عَصَوْا أمره وكذبوا أنبياءه • فاذا هلك قوم بزلزال شديد وكانوا طغاة فاجرين نقول أن الله أهلكهم بالزلزال لسوء صنيعهم • وقد نشأ الزلزال نفسه عن انفجار البخرة

وغازات كانت منضغطة في تجايف الارض . أو أنه نشأ عن انخساف
احدى طبقات الارض المؤلفة من مواد هشة رخوة فتداعت الطبقات العليا
المتراصة فوقها فحدث الزلزال فهدمت البيوت وهلك الناس . ويمكن أن
يتصور القارئ المسألة تصوراً جلياً بما نورد له من هذا المثل التاريخي : وهو
أن المنصور العباسي كان نغم من بعض كبار قواده . وفضل أن يقتله بحيلة
اتقاء ثورة عشيرته فبنى له بيتاً جعل أساسه من الملح وسجنه فيه أياماً . ثم
سلط الماء على الملح فذاب وتداعى الأساس وانقضت الجدران وخر السقف
على الرجل فمات . وأشاعوا أن موته كان بأهدام البيت عليه فهلك . والذي
أهلكه هو المنصور العباسي لكنه توسل الى ذلك بسقوط الجدران والسقف
عليه . وتوسل الى سقوط هذه بانحلال الملح من تحتها . وتوسل الى انحلاله
بتأثير الماء فيه فاذا قال قائل أن الرجل مات لاسباب طبيعية حدثت في
أساس البناء يكون صادقاً . واذا قال آخر انه مات لانه غاظ المنصور فأهلكه
يكون صادقاً أيضاً . وهكذا نقول في كل ما ورد في القرآن من أن الله تعالى
أهلك المكذبين بالريح أو الزلزال أو الطوفان أو انبثاق السد أو غير ذلك
ولله المثل الاعلى

(وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) كان الخطاب
في الآيات السابقة للمشركين أنفسهم من عند قوله « وأسرؤا قولكم » الى
قوله « فستعلمون » ثم التفت في هذه الآية الى خطاب النبي صلى الله عليه
وسلم وتحديثه عن أولئك المشركين الذين كان يخاطبهم وتسليته بانه سينالهم
— اذا بقوا مكذبين — ما نال مكذبي الامم الذين كانوا قبلهم

و (نكير) أصله (نكيرى) بياء المتكلم لكنها حذفت لموافقة رءوس
الآيات الاخرى كما حذفت من (نذير) . والنكير اسم مصدر لتكرر تنكرا
ومعنى تنكر تغير . يقال تنكر الملك لوزيره اذا تغير قلبه عليه . وتنكر الصديقان
اذا تغيرا وانتقلا من حال تسر الى أخرى تسوء . فمعنى التنكر قريب من
معنى الحقد والسخط على شخص بعد أن تكون راضياً عنه . ومن تسخط
عليه تنتقم منه وتنزل به العقاب فالتنكر في جانب الله لا يراد منه انفعال
النفس تعالى الله عن ذلك وانما يراد به لازمه وهو الاهلاك وانزال العذاب
وهكذا يقال في (مكر الله بهم) و (غضب الله عليهم) و (رضى الله عنهم)
يقول تعالى : لا تأس يا محمد مما ترى من عقوق قومك وجحودهم وتكذيبهم
لك . فقد كان هذا دأب الامم الذين قبلهم : كذبوا أنبياءهم وتمادوا في غيهم
وعنادهم . فتكررت لهم . وغضبت عليهم . وأنزلت بهم العذاب . ولا تزال أخبارهم
وهول ما حل بهم معروفاً ومتداولاً بينكم . فكيف كان تنكرى لهم وتغيرى
عليهم . أى فكيف كان غضبي عليهم . وأخذى لهم ؟ ألم يكن غضباً شديداً ؟
وأخذاً وبيلاً والآية لم تصرح باسم هؤلاء الاقوام المكذبين الذين اخذهم
الله بذنوبهم وجعلهم مثلاً وعبرة لمكذبي مكة . ولكن قوله « فكيف كان
نكير » يشعر بان ما نزل باوائك الاقوام كان معروفاً للمخاطبين . اذ كيف
يسألهم عن خبر ما حل بالهالكين ويطلب منهم المصادقة على هول ما أصابهم
وهم لا يدرون من أمرهم شيئاً ؟ فاذا لم نقل في تعيين أولئك الاقوام
المكذبين انهم عاد وثمود أنفسهم نقول انهم من أمم جزيرة العرب الذين
طغوا وبنوا فخذهم الله بذنوبهم . وصاروا نكالا وعبرة لمن جاء بعدهم

غريب اللغة

﴿ نموذج مما يحسن استعماله منه ﴾

كان لى مع الاستاذ بالامس حديث طويل بشأن الكلمات اللغوية التى أصبحت كغريب اللغة بالنسبة الينا وبالنسبة لهجراننا لها . فكان حفظه الله لاطلاعنا على معانى تلك الكلمات وتثبتته من كيفية استعمالها — قلما ينطق جملة ما لم يودعها واحدة منها . فكنت اعترض عليه وأقول « لم لا تقول ما يفهم » فيجيبني « لم لا تفهم ما يقال » ؟

وكنيت احاجه كثيراً فى أن بعض ما ينطق من الكلم عدا عن كونه غريباً لا يليق استعماله وشيوعه اليوم : لما أن ذوق المعاصرين ينبوعه . فكان يجاداني فى ذلك ويحاول اقناعى بلزوم أحياء كلام اللغة مهما كانت صفتها . وبذلك تغزر مادة الكتاب . ويسهل عليهم تلوين الخطاب . حتى سمعته مرة يقول « خرجت منذ أيام اتفره فى بعض الضواحي فرأيت من تبرج نساء هذه المدينة ما لم أره فى غيرها . وقد لا تستحى الواحدة منهن أن ترى الناس وجنتها المحمرتين . وخصيتيها المتدلتين » — فحمد الدم فى عروقي . وحدقت النظر فى وجهه وسألته ماذا تقول أيها الاستاذ هل للنساء خصيتان ؟ فتبسم وقال (الخصية) بضم الخاء القرط التى تعلقه المرأة فى أذنها وخصيتها قرطها . أما خصية الرجل نفاؤها تضم وتكسر . قلت أن الفرق بين الكلمتين من حيث حركات الخاء لا يعنينى . وانما يعنينى أن أنصح لك بالعدول عن استعمال هذه الكلمة وأمثالها لقبها ونبو الاسماع

عنها . فاجاب حضرتها بأنه ليس فى اللغة ما يقبح استعماله وانه لا يريد أن يصنى لنصيحتي . وبقي مصرّاً على ششنته فكان ينطق من كلم اللغة بكل ما عن له : حسن أو سمج

وها أنا أروى للقارىء من فصيح كله ما يحلو ويطيب . وأترك ما ليس للذوق فيه نصيب :

قال لى الاستاذ مرة (اذا أردت أن يكون عيالك أصحاب الاجسام فوجبه وليكن ذلك فى وقت معين) قلت ما معنى (وجبه) قال هى بتشديد الجيم أمر من التوجب . وهو أن تطعمهم الوجبة . والوجبة الاكل مرة واحدة فى النهار بحيث يبقى عليها الى الغد . فشكرت للاستاذ وقلت أنا نحب أن يتداول بيننا من أمثال هذه الكلمة لا ما ذكرته آنفاً عن المرأة

وقال فى حديثه عن بعض أصدقائه (دعاني الى داره وأنا أعلم بأنه لا يوجد فيها حزاقة) . قلت وما معنى الحزاقة ؟ قال هى بضم الحاء المهملة وتخفيف الزاى الشئ القليل من الطعام

وقال أصبت بصداع من طول ما جلست فى الضح (قلت وما الضح قال هو بكسر الصاد وتشديد الحاء نقيض الظل . والجلوس فى الضح كناية عن البروز للشمس . وبين الضح والضحي نسب ظاهر

وقال (انه رأى نسوة يمشين فى جنازة . يصحن بصوت منكر . ويحركن المالى بأيديهن) قلت وما المالى ؟ قال جمع (مثالة) الخرقه تمسكها المرأة عند النوح والبكاء

وقال يصف قوماً أخطأوا الصواب من أمرهم . (انهم قد بهرج بهرج الطريق) ولما سأله عن معنى « البهرجة » قال هى أن يعدل بالشئ عن الجادة

القاصدة الى ضدها . وأصل معنى « البهرج » الباطل والردى

وسأل آخر سؤالاً فلم يجبه فقال (أرى صاحبنا يعمس في الامر) قلت
ما معنى (يعمس في الامر) قال يتجاهله ويتغافل عنه ويتظاهر بأنه لا يعرفه
وهو يعرفه

وقال مرة : يظهر أن في الهواء رطوبة . قلت ومم عرفت ذلك ؟ قال
ألم تر ندأة القمر ؟ فرفعت طرفي الى السماء واذا القمر تحيط به هالة . فقلت :
كأنك تعني بالندأة الهالة قال نعم . وان الندأة على وزن حمأة هالة القمر
ودارة الشمس وهى ما يسميه علماء الفلك (الاكليل) . ويراد بالندأة أحياناً
قوس قزح والحمرة في النسيم الى غروب الشمس أو طلوعها . فقلت له كأن
العرب ضاقوا ذرعاً بهذه الظواهر الجوية الناتجة عن انعكاس النور مرة
وانحلاله أخرى فاطلقوا عليها كلمة (ندأة) واستراحوا فنبسم وقال يوشك
أن يكون الامر كذلك

وأراد زيارة بعض العظماء مرة فقال لي أريد أن أزور اليوم فلاناً فنتى
يوجد في الديوان وما جلاؤه ؟ قلت يكون ثم وقت الظهيرة من كل يوم .
واسكني لم أفهم قولك (ما جلاؤه) قال الجلاء بكسر الجيم اللقب الذى
يخاطب به أرباب الجاه والمناصب . فقولى (ما جلاؤه) أعني به ما هي الألقاب
الحسنة التى ينبغى أن أخاطب بها . فقلت يخاطب عادة بصاحب السعادة . ثم
زار ذلك العظيم وعاد وقص على خبر مقابله له . ومما جاء في حديثه قوله
(ولما وصلت الى الديوان استقبلني ميسون يتمعج في مشيته فسألته الاذن على
الباشا فسمح لي بالدخول بعد ان أخذ مني لبأدنى وعلقها على الغدان) قلت
رحماك ياسيدي فقد أعتدت أن اسمع منك الكلمات واحدة واحدة واراك

في هذه الجملة صبتها على صبا فلم أعد أفهم شيئاً ففسر ان شئت .

قال (الميسون) الغلام الحسن القد والوجه (يتمعج) يتأوى ويتثنى .
(اللبادة) على وزن رمانة ضرب من اللبوس متلبد يتقي به المطر (الغدان)
بالغين المعجمة على وزن كتاب قضيب تعلق عليه الثياب ويسمى أيضاً المشجب
والشجاب . وقالوا في تفسيره انه لخشاب تنصب لتوضع عليها الثياب فقلت
اذ ذاك ما ضرر الاستاذ لو اراحني وفرق هذه الكلمات الاربعة في جمل
متعددة . قال ما ظننت انك تجهل لغة قومك الى هذا الحد . وقال لي مرة
(انك ان نزلت الى ميدان العمل من دون تدبر . وحزم كنت كالا لا تكشف
ينزل الى الحرب ثم لا يلبث أن تصرعه اقرانه) قلت وما الاكشف قال هو
الذى لا ترس معه . وجمعه كشف كعنق . قلت و« الاعزل » الذى لا سلاح
معه . قال و« الأميل » لا سيف معه وجمعه ميل . قلت و« الحاسر » لا درع
معه . قال و« الاجم » بتشديد الميم لا رح معه . وسأني مرة (هل تأكل
الحساس ؟) وضم الحاء قلت وما هو قال السمك الصغير تجفف . قلت نعم
آكله ويسمونه اليوم (سردين) او لعل السردين ما يسميه العرب (الصحناء)
فقد قال اهل اللغة في معناه انه ادام يتخذ من السمك الصغير مشقة
مصلح للمعدة

وسأني أما جاءك مرجوع كتابك الذى ارسلته الى فلان) قلت
كأنك تعني بمرجوعه الجواب عليه . قال نعم . وكأنك لم تسمع هذه الكلمة
بعد ؟ قلت لم اسمعها . قال ويقال لجواب الرسالة رجع ومرجوعة كما يقال
مرجوع . وأنشد

(ساءلها عن ذلك فاستعجمت لم تدر ما مرجوعة السائل)

اي لم تعرف ما هو جواب سؤالى

ووصف مرة من اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم ورفقه ولين جانبه فقال (كان يداعب ولدان قریش ويلطخ أحياناً أخذ اغيملتهم) قلت (اغيلمه) تصغير (أغلمه) وأغلمه جمع غلام فهمناها. ولكن مامعنى (يلطخ اخاذهم) قال يضربهم بطن كفه ضرباً ليناً تحبباً وتأنيساً و(اللطخ) أيضاً أن تضرب الصبي على ظهره تداعبه وتلاطفه. قلت ويقولون أيضاً (ربت) الغلام بتشديد الباء ذا صنع معه كذلك. قال ولكن الترييت فى الأصل أن تضرب بيدك جنب الصبي خفيفاً خفيفاً لينام. وسمع بعض المتشددين المتكلمين يقول (المصطول هو الذى يتعاطى المنزل) فقال المصطول خطأ وصوابه (المصطل) وفسره لنا بالذى يمشى ويطأ طى رأسه.

وكافنى مرة قضاء مصلحة له. ثم أخذ خيطاً وربطه فى أصبعى وقال (إذا لم تفلح فيك الرتيمه أرسلت اليك الأقطوعة) وفسر (الرتيمه) بالخيط يعقده الصاحب فى اصبع صاحبه ليتذكر به ما كلفه فعله و(الأقطوعة) الشئ ترسله الفتاة الى صاحبها تنذرهما بأنها صارمها ولم تعد تكلمها. قلت حقاً أن كلمتك هذه خجلتني أحسبني أنسى حاجة سألتنيها. قال أتعرف ماذا يسمون الكلمة التى تسمعها فتخجل منها. قلت لا. قال يسمونها (الندية) كمحسنة وقالوا فى تفسيرها انها الكلمة يندى لها الجبين اى يبتل بالرشيع والرشيع العرق. ثم قال اما الكلمات التى اذا بلغتك نقصتك فتسمى (القوارص). وكان اى وية يقول فى امثال هذه الكلمات (ربما كلمة جعلتها تحت قدمي ودبر اذني) مع انه يستهين بها ويتناساها.

وجلس فى القهوة مرة ليلاً فوقف بجانبه بائع قد أثبت فى عرتبه لمبة كاز كان ينبعث الدخان منها بكثرة فتضجر الاستاذ من ذلك وصاح بالبائع (اذهب عنا فقد آذيتنا برائحة تقاطتك ودخان نفطك) فلم يفهم الرجل مراده ولبث فى موضعه. وجعل ينظر بعض الحاضرين الى بعض فسألته ما يعنى بالنفاطة قال هو هذا السراج الذى فيه زيت النفط يحرق وليستضاء به. والنفط بكسر النون زيت الكاز ويسمى البترول. وكانوا قديماً لا يحسنون تنقيته من الشوائب التى تخالطه فكانوا يستصحبون به على علته بواسطة سرج خاصة به تسمى (نفاطة) بتشديد الناء. والنفاطة أيضاً الموضع الذى يستخرج من النفط معنى منجمه وينبوعه. وتطلق (النفاطة) زيادة على ما ذكر على أداة من نحاس كانوا يستعملونها قديماً فى الحرب فيرمون بها النفط المتهب على العدو. فقلت اشكر لك ياسيدى الاستاذ على ما أخذتني من امر النفاطة فان النفاطات كثيرة الاستعمال متعددة الاشكال شأن كثير من الادوات التى ترد الينا من بلاد الفرنجة. ونحن فى حاجة الى اسماء عربية تصلح لان تنوب مناب كثير من الكلمات الاعجمية التى تفشت فى لغتنا مادام قومنا لا يزالون يتعصبون على الكلمات المعربة ويرفضون انزلها على الرحب والسعة فى كلامهم فهذا ما انتظره منك اما ما ذكرته من تينك المتديتين فى اذن المرأة فأتنى ان لا اعود اسمعه منك فضحك وقال يجب ان تتعلم لغتنا على اى حال. قلت تتعلمها ولكن لا نستعمل منها الا ما يحسن استعماله ويخف على الأذن وقعه. فهلل لسكلامي وقال ازيدك فائدة من مادة (النفط): ان العرب يسمون القروح التى تظهر فى يد الصانع من فرط مزاوله العمل وقبضه بشدة الآلة التى يشغل بها - يسمونها (نفطا) بفتح النون وتكون القروح ملائمة مصلا

مأثيا . وتسمى هذه القروح أيضا بثورا وخراجا وجبالا . ومفرد الاخير مجل . ويقال مجلت يد الصانع اذا ظهرت فيها الجبال
ورأى الاستاذ مرة رجلا ضخم الجثة يحاول أن يركب اتانا ضئيلة عجفاء
فنهاه عن ذلك قائلا (أي يمكن لهذه الأتان ان تحمل جماءك) فقهم الرجل بالجملة
انها لا تطيعه حملة . لكن انا لم افهم معنى (الجماء) فقال هي بفتح الجيم وتخفيف
الميم جثمان الأتسان وتجايلده وأنشدني قول احدا لأعراب يصف كيف دفن
قريبه في الصحراء :

(جعلت وسادة احدي يديه وتحت جمائه خشبات ضال)

يقول انه وضع يد الميت تحت رأسه فصارت له كالوسادة كما وضع تحت سائر
جسده اعوادا من الضال . وهو ضرب من شجر البادية . ويفهم من هذا الشعر ان
العرب كانوا يضعون وسادة تحت رأس الميت بدليل ان الشاعر لما لم يتيسر
له الوسادة استغنى عنها بيد الميت ويفهم منه أيضا انه كانت عادة العرب أن
يميلوا أجساد موتاهم على أحد الجنين بدليل ان الشاعر وضع احدي يدي
الميت تحت رأسه . وهذا الوضع يكون في حالة الاضطجاع على أحد الشقين .
ورأى الاستاذ مرة حسناء تهادى بين أترابها فراقه جهالها وأنشد

(فيهن صفراء المعاصم طفلة * بيضاء مثل غريضة التفاح)

- لمن هذا البيت ؟

- لابن ميادة الشاعر الشهور

- كيف وصفها باصفرار المعاصم مع أن العرب يفضلون البياض المشوب

بأحمرار . وقالوا الحسن أحمر

- نعم ولكن منهم من يستحسن البياض اذا كان مشوبا باصفرار .

وقد اشار امرئ القيس الى هذا منذ قال «كبكر المقناة البياض بصفرة»
والأذواق مختلفة .

- لماذا فتحت الطاء من (طفلة) في بيت ابن ميادة ؟

- لأنها تأنيث (طفل) بفتح الطاء وهو الرخص الناعم وأنشد

(تالله للنوم على الديباج على الحشايا وسرير العاج)

(مع الفتاة الطفلة (.....) أحب يا عمرو من الأدلاج)

(وزفرات البازل العجماج)

- ما هي غريضة التفاح في شعر ابن ميادة ؟

- الغريضة من كل شيء النض الطرى . والتفاحة أجل ما تكون مرأى

وملمسا اذا كانت غضة طرية . لا تغضن في قشرتها . ولا تغير في لونها .

وفي آخر النهار مررنا في بعض الشوارع فرأينا قوما مزدحمين حول شيء وهم

يصخبون ويرددون أصواتا منكرة فدنا منهم وقال (ما هذا الصخب يلق

البحلن جع) وانتظر مني أن أسأله عن معنى قوله فما كان مني الا أن ودعته

وانصرفت



الغلو

(الغلو) عند الغربيين وعندنا نحن الشرقيين ولكنه عند أئلك غير ظاهر ظهوره عندنا ولعل ذلك لان فلسفتهم مبنية على الخس وشطر من فلسفتنا مبنى على الخيال

عرف البديعيون الغلو بانه دعوى أن وصفاً بلغ (في الشدة أو الضعف) حداً يستحيل عادة أو عقلاً ، ومن الناس (١) من يرى أن فضيلة الشاعر (أو الكاتب) انما هي في معرفته بوجوه الاغراق والغلو ، وهو مذهب عام (٢) في المحدثين وموجود كثيراً في الاوائل ، وبعضهم يرى أنه من (٣) ابداع الشاعر الذي يوجب الفضيلة له فيقولون أحسن الشعر اكذبه ، وأن الغلو انما يراد به المبالغة والافراط ، وقالوا اذا أتى الشاعر من الغلو بما يخرج عن الموجود ويدخل في باب المدموم . فانما يريد به المثل وبلوغ الغاية في النعت ، وقد احتجوا بقول النابغة حين سئل من أشعر الناس : فقال من استجيد كذبه وأضحك رديته

ومن نظر في شعر المتقدمين والمأثور من مشورهم وجده فائضاً بهذا النوع البديعي وقد زعم (٤) بعض المتعقبن أن الذي كثر هذا الباب ابو تمام وتبعه الناس بعد ، بل هذا أبو الطيب كان من أسباب شهرته في عصره

(١) العمدة في صناعة الشعر وتقدمه لابن رشيق القيرواني (ص ٤٩ ج ٢)

(٢) الوساطة للإمام الجرجاني (مخطوط)

(٣) (مأثور عن الخاتمي) أحد البلغاء المحدثين

(٤) العمدة لابن رشيق (ص ٥١ ج ١)

هذا الضرب ، ولعله أكثر المتقدمين غلوا وأبعدهم فيه همة كما قال ابن رشيق وهذا الضرب من البديع (٥) ليس بالجديد فيه وانما هو قديم ، وقد علمت أن من الحاذقين من يروونه منقبة للشاعر ، ويعمدونه له فضيلة وابداعاً وحسبك قول النابغة شاهداً

كان الشعراء من المتقدمين وغيرهم اذا أرادوا أن يصفوا والشعر الا أقله وصف ، عمدوا الى الغلو وهم يرون أنه كلما اشتد بعده عن الحقيقة ، كان ذلك أدعى الى الغبطة والاعجاب وأدل على حذقهم في الصناعة ، وربما كانوا أقوى الناس يقيناً بانهم على غير حق فيما غالوا ، وانما كانوا يرون ذلك جودة وحسناً

يخطر لاحدهم أن يتمدح أميراً أو كبيراً ، فلا يزال يجبل خياله في عالم المعاني التي تتوارد على ذهنه تبعاً حتى اذا ظفر بإبداها عن العادة والعقل ركبها في شعره ثم نثره على الاسماع ، لا يلحظ مطابقة ما يقوله للواقع أو مخالفته للحق والمعقول ، وانما يلحظ الاغراب ، وهو يرى أنه كلما أغرب وتغلغل في باب الاستحالة العادية والعقلية ، كان ذلك أدل على حصافته وفصاحته وليس الغلو ولا البديع كله بمقصود على الشعر فانه يكون في النثر كما

(٥) مخترع البديع ابن المعتز (سنة ٢٧٤) وهو أول من صنف فيه ونقل بعضهم أنه لم يجمع منه الا سبعة عشر نوعاً وزاد عليها معاصره قدامة بن جعفر ثم تابعهم كثير من الفضلاء ذكروا أن أولهم أبو هلال العسكري ثم ابن رشيق القيرواني وتلاههما غيرهما فلما جاء الشيخ عبد العزيز (الضفي الحلي) نظم مدحة نبوية ميمية جمع فيها مائة وأربعين نوعاً . وجاء بعده الشيخ عز الدين الموصلي فعارضه بقصيدة زاد فيها بعض الانواع . ثم جاء ابن حجة الحموي فالزم التسمية وتلته الفاضلة عائشة الباعونية والشيخ عبد الغني النابلسي . وفي هذا العلم قصائد وأراجيز هذا موجز تاريخ علم البديع

يكون فيه ، ومن كتبنا اليوم من لا يرضيهم اذا ذكروا أصغر الملوك شأنًا
الا أن ينعتوه بما لا يقوله حريص على دينه ، فيقولون فيه صاحب « الجلالة »
أو « الجلال » ، وفي أصغر بطائته قدرا صاحب « العزة » ، والعزة والجلال
لله ، هذا في حين أن المتصوفة وبعض علماء الكلام يقولون اذا ذكروا الله
تعالى الحضرة الربانية فهل الغلو الا ما يقوله أولئك الكتّابون ؟
ليس كل غال بمعتقد صدق ما يأتي به من الغلو ، والا لزم كل من
حسن في مدح مخلوق بهذا النوع أن يجدد اسلامه

وهل كان أبو الطيب يعتقد أن حلاوة التوحيد تفوقها حلاوة حين قال :
يتشفن من في رشفات من أحلى فيه من التوحيد ؟
وهل كان أبو نواس يعتقد أن ممدوحه يخيف النطف وهى فى الاصلا ب
حين قال :

وأخفت أهل الشرك حتى أنه لتخافك النطف التى لم تخلق ؟
وهل كان فيلسوف الشعراء يعتقد أن قسى ممدوحه تصيب قلوب أعدائه
بالنبال من غير أن تفوق حين قال ؟

تكاد قسيه من غير رام تمكن فى قلوبهم النبلا ؟

أين يكون غنى اللغة وأين يسرح خيال واضعيها ، اذا التزم الشاعر
حدًا لا يعدوه فى التعبير ولا يترقى الى ما فوقه حتى يجاوز المبتدل الى
الطريف ، فضايق به مجال الوصف ، وقعدت به همته عن عرض عدة صور
متفاوتة الحسن لاي غرض يتمل لذهنه ، فلم يفتن فى القول ، ولم يذهب فى
مناحيه كل مذهب ؟

أين ذلك الغنى اذا كان لكل غرض صورة واحدة لا يعدوها أحد

ولو أخلقها الابتذال ، ولكل معنى معرض معين يلتزمه العربى ، فلا يكدر
ذهنه فى اختراع سواه

أين ذلك الخيال اذا لم يجاوز سقف الغرفة صعدا . وفيه يتفاوت البلغاء
اذا لم يبرزوا للغرض الواحد صوراً عديدة متفاوتة فى الحسن والاتقان ؟
أجل الطرف فيما يقع لك من كتب الادب والمحاضرات المعبرة ، نجد
مقدمة كل منها محتمة بعبارة تقديم الكتاب الى أمير أو وزير ، وفيها من
النوعوت غير المعقولة ، والاوصاف المنجولة ، ما لا يجتمع أيسره لانسان ولا
يتفق اعتقاده وصحة الايمان

وبعد فقد علمت مما مر بك أن الغلو فى القول طبعى فى اللغة العربية
لغناها وسمو خيال أهلها ، وأنه نوع من انواع البديع ، وليس من المؤلفين
فى هذا العلم من لم ينص عليه بل كان فى الناس من جعل تبرز الشاعر أو
الكتّاب فى هذا الضرب دليلا على مبلغ حذقة وبصره بوجوده الاجادة
والاتقان ، وسند كرك فى مقال تال طائفة من شعر المحيدين تريك كيف
أن هذا الغلو يكاد يكون قائماً بنفس العربى وأنه لا يكاد يخلو منه ديوان أو
يتجرد منه لسان

هذا هو الغلو فى البديع ، فما لهم الآن ينكرونه ؟ وهل ما يعد للبديعى
فضيلة وابداعاً يعده عليه غير البديعيين ذنباً ؟

لقد ذكرنا فى مقال سابق أن من المقرضين من قرظ كتاباً سخر فيه
من أمه وأبيه او اقترى فيه عليهما ، فلما نبه الى ذلك انكره واعتذر لنفسه
بضيق الوقت وتراحم الاشغال . وبأن ذلك الكتاب ليس علمياً فيتعين عليه

ان يستقر به كله وانه لذلك ليس مسئولا عما كتب ، وذكرنا ايضا حال من
يقررون الكتب العلمية في نظارة معارفنا ، فاذا كان ثمة ملامسة في
التقريظ او الغلو فيه فالتبعة على البديعيين ، ثم على من أقرؤا كتباً مشحونة
بضروب الهجو في ديننا الخفيف وفي نبينا المصطفى عليه الصلاة والسلام ،

وقد اتفق لي أن قرطت ديواناً لشاعر نابغة في الشعر وروايتين وضع
احدهما أحد المتخرجين في مدرسة المعلمين وكتاباً في فن رسم الحروف
وآخر في النحو ، وقد طبع فيها ما كتبت في تقريظها دون أن أقرأ واحداً
منها . فلما أمنت النظر فيها بعد الطبع وجدت من شنيع الخطأ في بعضها ما
يؤاخذ عليه المؤلف لا المقرض ، فاعذروا الناس أيها الناس ، ولا تقيسوا حال
علمائنا ونوابغنا من هذه الوجهة بحال أمثالهم في غير هذه البلاد فان الخطأ
في هذا القياس أنه لو قضى على كل قائل أن لا يقول الا ما يجوز عادة وعقلاً
وعلى كل كاتب ألا يكتب الا ما يعتقد انه مطابق للواقع . اذن لقضى على
نوع من أجل أنواع علم البديع . ولقد شعر اؤنا وجميع الخياليين من كتابنا
قدرتهم على الابداع في قرض الشعر وصناعة اليراع

العلوم ذهب شعري قديم في الشعر . قديم في ألسنة الناس . قديم في بلاد
الشرق . ولو تجردت منه الكتابة العربية لتجردت من الخيال وجلال هذه
الصناعة فيه

يخطر لاحدنا أن يكتب في موضوع فيضع نصب عينيه الاجادة والاتقان
والكتاب يتفاضلون فيها . فاذا كان في معرض وصف أو مقام مدح مثلاً
غض نظره عن الحقيقة وحلق في جو الخيال وجاءك بما لا يعتقد صدقه فيه

وهو يرى أنه كلما أوغل في بيداء الاستحالة وأغرب في المعاني كان ذلك
أبعث على الإعجاب

اقرأ ما شئت من شعر المتقدمين والتأخرين ومشورهم . فاذا وقفت فيها
عند نعت الممدوح بانه يعز ويذل ويميت ويحيي ويفقر ويفني ويضر وينفع
وان الاقدار طوع يمينه ولا يحدث في هذا العالم شيء الا بإرادته وانه :

هو مثله في الفضل الا أنه * لم يأت به برسالة جبريل
فقل لي أكان المعري يعتقد ان ممدوحه مثيل رسول الله وأنه لا تميز
عنه الا بالنبوة ؟ هل كان كل أولئك الشعراء يعتقدون أن ممدوحهم آلهة
تجب لهم العبادة والتقديس ؟

اذا فيا ويح الشعراء ويا ويح الكاتبين ! الا انه لو قضى على واحد منا
ألا يقول الا الصدق لصام عن الكلام ولما أفاد الا على كلمة التوحيد
نعم لو قضى على الكاتب منا أن ينزع عن كتابته ثوب الخيال والغلو
قطعة منه لفقدت الكتابة أهم مميزاتا وخصائصها . ولو أريد شاعر من
شعرائنا على أن يلتزم الصدق في شعره لرأيت شعره وقد انطفأ سراجة وبلى
ديباجه وعظم نتاجه كلاماً مقفى ليس فيه من عيب الشعارية نفس ولا من نار
الشعور قيس

اقرأ قول المتنبي (في النحول) :

روح تردد في مثل الخلال اذا * اطارت الريح عنه الثوب لم يبين
كفي بحسبي نحو لا اني رجل * لولا مخاطبتي اياك لم ترني ؛
وقوله في (وصف فرس) :

عقدت سنانكها عليها عثيراً * لو تبتغي عنقا عليه لامكننا !

ثم قل لى هل من المعتاد او المعقول ان يبلغ من نحول الشخص ان
يندمج بين ظهارة الثوب وبطائه حتى لو اطارته الريح لم يبين له اثر؟ وهل ما
يطير من العثير من ركض الفرس يمكن ان يكون جسراً يمر عليه؟
ثم اقرأ لابي نواس قوله (فى المدح):

حتى الذى فى الرحم لم يك صررة * لقواده من خوفه خفقان !
وقوله (فى المدح) ايضاً:

واخفت اهل الشرك حتى انه * لتخافك النطف لم التى تخلق !
ثم قل لى هل من المعتاد ان تخاف النطفة وهى لم تتدل من صلب بعد
شيئاً؟ وهل لها حس وهى فى عالم الذر تجد به اثر الرهب؟ وهل لا يعد من
المستحيل استحالة مطلقة ان تحس النطفة التى لم تصور بخوف او ارتعاب؟
بل اقرأ لسعادة شوقي بك قوله (فى المدح)

وقيل ابن رب النيل فافترت القرى * وناجى الثرى نعليك يستوهب الخصب !
فهل تعقل ان يناجى الثرى نعل ماش وهل يمكن ان تهب النعل التراب
الخصب ان أمكن أن يستوهبها اياه؟

ثم اقرأ قول الآخر فى (النحول):

ذبت من الشوق فلو زج بى * فى مقلة النائم لم ينتبه
وكان لى فيما مضى خاتم * فالآن لو شئت تمنطقت به !
وقول ابى صخر (فى المدح):

تكاد يدي تندى اذا ما لمستها * وينبت فى أطرافها الورق النضر !
وقول أبى الطيب (فى المدح) ايضاً:

وعجبت من ارض سحاب أكشفهم * من فوقها وصخورها لا تورق !

تجد الغلو المغالى فيه — فمن ذا الذى يذوب من الصبابة حتى لا تبقى
منه الاذرة لو زج بها فى مقلة وشنان لم ينتبه من الوسن؟ أم من ذا الذى يبلغ
منه النحول الى حد أن يتمنطق بالخاتم؟ وهل ينبت الا فى منبته الورق النضر؟
وان تعجب فقد عجب المتنبي من عدم اوراق صخور تمطرها أ كف
مدوحيه ...

غلو يخلع على القول ديباجة حسن لا تبلى . ويكسوه نخامة وكرامة
تخلبان الالباب . ولو توخوا الصدق فى قولهم والتزموا فيه مطابقة الواقع
ومسيرة العبادة والعقل فلم يندوا فيه عنهما لما بقى له اثر الى اليوم ولما كان من
سقط المتاع

من ذلك كله نستنتج ان الغلو لا يلاحظ فيه الاستحالة وبقدر اطلاقها
تكون قيمتها . وانه ليس من يغلو فى قوله بمعتقد صحته وانما هو وشى ينم
به القول وزخرف له . فليفظنوا لذلك ولا يتهموا بريثاً »

(نقاد)



له اسماء عندهم الا أن انتقال الامة من خشونة البداوة الى نعيم المدنية دون أن تقتصر الى الوضع في لغتها لدليل على سعة تلك اللغة وغناها ، ووفائها بما هو فوق الغناء

أما خيال الناطقين بها فإنه لم يساهم خيال أمة سابقة ولا لاحقة ، أولئك قوم أحى الشمم أنوفهم ، وأعز الكبر نفوسهم ، وتمكن حب الحرية من قلوبهم الى حد أن أصبحت من أخص صفاتهم ، وألزم عناصر حياتهم ، بل بلغ من رسخ عرقها فيهم أنهم كانوا يصفون كل جيد نقى خالص بأنه حر (٢) ، زد على ذلك أنهم قوم لباسهم الشملة والبرد ، ومقرشهم البادي والوبر وآيتهم الحفنة والقبة وأثاثهم الرحي والقدح ، ويوتهم الأديم والشعر ، صفت نفوسهم وسلمت عقولهم وذكت طبائعهم ، فلا ترف الحضارة أدرتهم فافسد أمر جنتهم ، ولا نعيم المدنية بلغوه فكدر فطرتهم ، ولا عجب اذا بعث ذلك منهم فكانت زهر النجوم لخيالهم مجالا

وليس كل الشأن في هذه اللغة أنها ذات غنى غير محدود وأن خيال واضعها أسمى خيال فإن لها من المزايا ما لا يدانيها فيه لغة غيرها ، ولا نسرد في هذا المقام جميع مزاياها وحسبك أنها لغة البيان والمعاني والبديع أما البيان فيكفي في الدلالة عليه أنه لولاه لم يصنع الوشى لسان ويصنع الحلى بيان ، وأما المعاني فهو التصوير لأنه يريك اختلاف الصور باختلاف المصورات ، وأما البديع فهو تحسين الاساليب لمن يتعرف وجوهها

(٢) قال (الزوزني) الحر من كل شيء خالصة وجيده ومنه قولهم طين حر يعنون لمخالطه وحل وثوب حر أى لا عيب فيه الخ

الغلو في البديع

لا خلاف في أن لغة العرب أوسع اللغات تعبيراً ، وأطوعها للمعاني تصويراً ، ميزت على نظائرها بالغمي ، وسمو خيال واضعها ، الى مميزات أخر لا يتسع لبيانها هذا المقام

أما غنى هذه اللغة غنى لا تماثلها فيه لغة أخرى فذلك ظاهر في كثرة ما فيها من الترادف والأبنية والصيغ وان كانت قليلة الاوضاع ، هذا هو مظهر غناها ومن هنا كانت لها الميزة على سواها ، ولا دليل على أنها كما قلنا تسع كل تعبير ولا تضيق لمعنى بتصوير أقطع من المقارنة بين ما كانت عليه في الجاهلية وما صارت اليه على عهد بنى العباس مثلاً ، اذ أخذ العمران يستبحر ، وأخذت الامة من أسباب الحضارة تستكثر ، وقد قنع الخلفاء بما بلغوه من الفتوح وتأيد الاسلام ، قارن بين حالى اللغة في ذينك العهدين هل جد عليها في ثانيهما لفظة أعجمية ، أو دخل عليها وضع جديد ؟

لم تضع الأمة في لغتها لفظاً أعجمياً ، ولا أجدت فيها وضعاً عربياً ، بل وسعت اللغة ما كان لدى الفرس واليونان من صناعة وعلم . وسعت في ذلك العهد مذاهب المدنية وفنونها لم ينضب لها معين بل كانت تشايح أهلها طبيعة يمدح من السعة بقدر ما يريدون ، وسعت ما نقل اليها من فن وصناعة وعلم ، خلا الطب (١) فقد تساحوا في نقل أسماء بعض الأدوية والعقاقير بلفظها وذلك لان منها ما لم يكن له مسمى عند العرب ، ومنها ما لم يكونوا يعرفون

(١) يغلب في أسماء العقاقير والادوية أن تنقل بالتعريب

ولا جرم أن هذا الغني في اللغة وذلك السمو الذي لزم خيال واضعها
الى مائة من جليل المميزات آثارا تدل عليها فأين نجد هذه الآثار ؟
غنى اللغة غير محدود أى أن لها من معينها تبعاً لا ينضب ، فهى لم تضق
بمصطلحات فن ولم تعجز عن اشتغال مواضع علم ولا علم عليها من تقصير
فى تسمية مسمى او تمثيل معنى او تأدية غرض وكم فيها من معارض صورت
أدق خواطر الحس ومثلت ما استخفى من متقلب المعانى فى قرارة النفس
غنى اللغة فى الترادف فى مفرداتها وتعدد الصيغ فى مركباتها فقد ذكروا
ان للخمر مائتي اسم والاسلام خمسمائة والسيف ألفاً ولست بواجد لذلك فى
سائر اللغات شبيهاً

وقد أقام للغة أثمها عمداً ثلاثة من تلك العلوم ، وانى أدع القول فيها
جميعاً لمراجعها وأخذ فى نوع واحد من أنواع البديع هو الذى يسمى (الغلو)
دند البديعيين فاذا ذكر المنصوص عليه فيه وأقنى عليه بشواهد شتى ، وانما
اتيت بهذه الديباجة تمهيداً لما سيعقبها وتحقيقاً لمعنى هذا النوع عندهم حتى
يعرفه من لم يعرفه ، فقد سمعت ضجة قائمة حول مقدمة وضعها علم من
اعلامنا المجموعة شعرية فكادت تشغل بعض رجال الحكومة عن كل شأن
لان واضعها ذيلها بفقرة البسها حلة (الغلو) وهو محسن بديعى فعد عليه هذا
الامر !



الفلسفة والتاريخ

النشوء والارتقاء

ومذهب داروين

(بحث علمى بين صاحبي الامضاء)

استفتاء

مرفوع الى جناب الدكتور شبلى شميل صاحب كتاب فلسفة النشوء والارتقاء

فى مذهب داروين

من حضرة الدكتور البارع صاحب الامضاء

يا جناب الدكتور قد طالعت كتابك فى المذهب المادى من أوله الى
آخره بغاية التأمل والحرية والانصاف فظهر لى أن أكبر دعائم هذا المذهب
فى النشوء والارتقاء هى مسألة الاعضاء الاثرية فى النبات والحيوان وهى
أكبر أساس بنيت عليه ما بنيت من القصور الشائخة والصروح الشاهقة
وأقرب الأدلة الى البراهين المنطقية وأما غير هافهى أقرب الى الظنون
والأوهام منها الى البرهان وعليه فاذا أمكن تفسير هذه الاعضاء بغير مذهبهم
اليه اندك أساس هذا المذهب وتقوضت أركانه فهل لجنابكم أن تقرأوا هذه
الأسئلة الآتية وتجيبونا عليها بالانصاف الذى تطلبونه من غيركم حينما
يقرأ مقالاً تتكم :

(١) — اذا قلنا ان بعض الاعضاء الاثرية فى نوع ما من الانواع كان
مستعملاً فى هذا النوع بعينه من قديم الزمان ولاختلاف الظروف والاحوال

التي أدت الى اهمال هذا الاستعمال فيما مضى في الأجيال ضمرت هذه الاعضاء وصارت آثاراً للدلالة على أصولها في نفس هذا النوع لا على أنها كانت أعضاء في نوع غيره فبماذا تثبتون تغير الأنواع وانتقالها من نوع الى آخر ؟؟ مثال ذلك عضلات الأذن الظاهرة للانسان والجسم الصنوبري (Pineal Body) الذي في مخه وتقولون عنه انه كان عيناً ناشئة في الحيوانات التي ارتقى عنها الانسان . فلماذا لا نقول ان هذه العضلات والعين الثالثة كانت للانسان نفسه في أول الأمر خلقت ابتداءً معه لنفسه لها اذ ذاك ولتغير الظروف والأحوال فيما بعد أهمل استعمالها لتلك الأسباب التي تزعمونها فضمرت حتى صارت آثاراً دلت على ما كان له في قديم الزمان لا على أنه انتقل من نوع الى نوع ومثل ذلك يقال في سائر الحيوانات التي توجد فيها مثل هذه الأعضاء العامرة أى أن كثيراً من الحيوانات كانت لها هذه العين الثالثة ثم زالت أو ضمرت لعدم الاحتياج اليها واهمال استعمالها وكذلك تجدها في الحيوان المسمى بالافرنجية (Hatteria) وهو نوع مخصوص في الأورال (Lizards) كان له هذه العين فأهمل استعمالها فضمرت فيه وبقيت الى الآن مغطاة بالجلد وبمثل هذا التعليل يمكننا أن نمال ضمور الحوض والطرفين السفليين في الحيات أى أن بعض هذه الاعضاء الأثرية المشاهدة الآن في أنواع الحيوانات كانت في قديم الزمان أعضاء نامية في نفس هذه الأنواع لا في أنواع غيرها كانت موجودة قبلها

(٢) - اذا سلمنا أن بعض الانواع ارتقى عن البعض الآخر واستدللنا على ذلك بمثل الاسنان التي تظهر في الفك الأعلى لأجنة الحيتان والحيوانات المجتررة ثم تذهب وتزول فيما بعد وقلنا ان ذلك دليل على ارتقاءها من نوع غير

نوعها فبماذا تثبت ارتقاء جميع الانواع بعضها من بعض مع أن هذا البرهان لا يوجد الا في بعض الانواع دون البعض الآخر أى أننا اذا سلمنا أن الانواع كانت أقل مما هي عليه الآن بقليل فلا يمكننا أن نسلم أنها جميعاً كانت قليلة جداً (أى نحو أربعة أو خمسة مثلاً) كما ذهب اليه داروين أو واحداً فقط كما ذهب اليه غيره ممن اتبعه ومثال ذلك في اللغات . اننا اذا قلنا أن بعض الكلمات في بعض اللغات مشتق من اللغات الأخرى لوجود تشابه في حروفها ومخارجها فلا يمكننا أن نقول ان كل كلمة في أى لغة مشتقة من كلمة أخرى في لغة أخرى قبلها بل أن كثيراً من الكلمات قد وُضع في اللغات وضعاً وخلق خلقاً ولم يكن له سابق في لغة قبله واذاً فكيف تثبت أن الانسان أو غيره في بعض الأنواع الأخرى لم يخلق نوعاً مستقلاً عن غيره من الأنواع وأى برهان صحيح نقيضه على ذلك سوى الظنون في الأوهام مع ملاحظة أن مثل البرهان السابق (أى ظهور الانسان في بعض أجنة الحيوانات ثم زوالها) ان صح في بعض الأنواع فلا يصح في نوع الانسان (ولا في أكثر الأنواع الأخرى) والا فإما هي الأعضاء الأثرية التي تثبت ذلك فيه ؟؟

(٣) - اذا قلنا ان سنة الله في الخلق هي أن يخلق أجنة الحيوانات المتماثلة على طريقة واحدة ثم ينوعها بحسب أنواعها المختلفة أى أن أجنة بعض الحيوانات المختلفة في نوعها تكون في مبدأ الأمر متشابهة كل الشبه ثم تتنوع شيئاً فشيئاً حتى يختلف بعضها عن بعض فكما أن جنين الذكر والانثى هو في الأصل واحد ومنه يشتق الذكر والانثى فكذلك أجنة كثير من الحيوانات هي في الأصل واحدة ثم تشتق منها الحيوانات

المختلفة وكما أنه لا يصح أن يقال ان الذكر كان انثى وارتقى لوجود آثار الانثى فيه كذلك لا يصح أن يقال ان الانسان كان حيواناً آخر وارتقى لوجود آثار من الحيوانات الأخرى فيه كالزائدة الدودية التي هي عبارة عن أعور طويل في الحيوانات الأخرى ذوات الشدى وكالاقواس الخيشومية (Branchial arches) في جنين الانسان التي تقابل خياشيم الأسماك فان هذه الأشياء الأثرية وجدت في الانسان كما وجدت آثار الانثى في الذكر وبالعكس لأن الجنين لسكل من هذه الحيوانات المختلفة كان أصله واحداً في شكله ثم تنوع فوجدت آثار بعض الحيوانات في البعض الآخر تشابه أجنتها في مبدأ الامر ولتكونها على طريقة واحدة . ومثل ذلك أيضاً الجلد والمعضل والمضب والعظم فانها خلقت جميعها في خلايا (بروتوبلاسمية) واحدة في أصلها وشكلها ثم تنوعت في أثناء نشوئها وحافظت خلاياها على خواص الخلايا « البروتوبلاسمية » الأولى وصفاتها بدرجات متفاوتة بحيث صار بعض هذه الخواص في بعض هذه الخلايا أصلياً وفي البعض الآخر أثرياً مثل خاصية الانقباض التي توجد في الخلايا العضلية ظاهرة واضحة وفي غيرها طفيفة خافية وان كانت في الخلايا الاصلية متساوية.

والخلاصة انا نرجوكم يا جناب الدكتور أن تثبت لنا بالبرهان المنطقي الصحيح أن الانسان أو غيره من أنواع الحيوان لم يخلق مستقلاً بل نشأ عن غيره نشوءاً تدريجياً على ممر الازمان ولا نريد أن يكون برهانك الاستحسان وزخرف الكلام من غير دليل عقلي قاطع فاذا سلمت معنا أن كثيراً في الانواع يجوز أن يكون خلق خلقاً مستقلاً فكيف تجزم بعدم وجود الله تعالى وكيف يمكنك حينئذ أن تفسر وجود هذا العالم بنظرياتك المادية

بدون أن تعترف بوجوده تعالى . أما باقي مطاعنك في الاديان مثل كلامك عن الروح والقضاء والقدر والمعجزات وغير ذلك فلو كنت طالعت ما كتبناه في مجلة المنار الغراء في هذه المسائل بالانصاف الذي ترجوه في غيرك لامتنت عن اعادة طبع كتابك هذا (راجع بعض أعداد المجلد الثامن من المنار والجزء ١٠ من المجلد ١٠ والجزء ٣ و ٤ و ٥ و ٦ من المجلد ١١ والجزء ٢ من المجلد ١٢) ولعلمت أن مذهبك المادى الذى تقتخر به وتعجب ان هو الا ظنون وأوهام ما أنزل الله بها من سلطان ولم يقم عليها برهان منطقي صحيح كالذى نقيه نحن على عقائدنا الدينية ولما أنكرت أن أفكارك ان فشت في البشر لانك كنت منها دعائم الفضيلة والمدنية والعمران ولقلنا على العلم والعقل السلام

الدكتور محمد توفيق صدق

طبيب سجن طره

* *

الفتوى على قدر النص

(انسان غريب)

لم يقم حتى الساعة من بين أصحاب مذهب الخلق الاستقلالى أو مذهب النشوء الاتصالى من وضع الانسان في تكوينه في مثل المراكز المرجح الذى وضعه فيه جناب الدكتور محمد توفيق صدق في « استفتائه » الموجه الى والمنشور في المؤيد فالعلم فالمقطع

المذاهب الشائعة حتى اليوم في كيفية وجود الانسان وسائر الانواع

الحية اثنان أحدهما المذهب القائل ان كل نوع من الاحياء وأخصها الانسان خلق خاص مستقل في خلقه عما سواه من المخلوقات التي كل نوع منها موضوع عناية خاصة ولا سيما الانسان الذي هو أتمها خلقاً حتى أن العناية الخاصة به لا تقتصر على النوع بل تشمل كل فرد من أفرادها . وهذا المذهب قديم جداً وهو مذهب أصحاب الخلق

والثاني المذهب القائل ان الانواع الحية بما فيها الانسان مرتبطة بعضها ببعض بمعنى أنها ليست خلقاً خاصاً مستقلاً أحدها عن الآخر وأنها لم تكن كما هي اليوم في سائر أطوار الارض الجيولوجية وإنما بلغت ما بلغت اليه بالتحول والارتقاء تبعاً لناموس المطابقة وغلبة الانسب كما يستفاد من مباحث الطبيعيين الجيولوجيين والحيويين البالتولوجيين في طبقات الارض وتكوين الاحياء ومن النظر خاصة في الاعضاء الأثرية المعتبرة من أقوى أدلة هذا الارتباط تربط الاحياء بعضها ببعض وتربط الانسان بسائر فروع الشجرة الحيوانية وتدل دلالة واضحة على أن الانسان في الماضي لم يكن انساناً بالمعنى المعروف في الخلق بل كان غيره اليوم وهذا المذهب حديث جداً وهو مذهب أصحاب النشوء

ولم يسمع بغير هذين المذهبين بين أصحاب الخلق وعلماء الطبيعة حتى اليوم على أن الدكتور محمد توفيق صدق جاءنا اليوم بمذهب ثالث ليس مذهب أصحاب الخلق لانه يعتبر الاعضاء الأثرية أعضاء متغيرة بحسب الضرورة كما في مذهب النشوء وليس مذهب النشوء لأنه يعتبر الاعضاء الأثرية خاصة بكل نوع ولا تيس استقلاله في خلقه بشيء حيث قال : (إذا قلنا ان بعض الاعضاء الأثرية ولماذا ليس كلها) في نوع ما من

الانواع كان مستعملاً في هذا النوع بعينه من قديم الزمان ولاختلاف الظروف والاحوال التي أدت الى اهمال هذا الاستعمال فيما مضى صغرت هذه الاعضاء وصارت آثاراً للدلالة على أصولها في نفس هذا النوع (!) لا على أنها كانت أعضاء في نوع غيره (!!) فبما ذا تبدون تغيير الانواع وانتقالها من نوع الى آخر ؟؟ انتهى (!!!)

وقد ضرب لذلك مثلاً عضلات الأذن الضامرة في الانسان لاستغنائها عن تحريك أذنيه والنامية في بعض أنواع الحيوان كالفرس للزوم هذا التحريك له وذكر أمثلة أخرى أيضاً قال :

« مثال ذلك عضلات الأذن الظاهرة للانسان والجسم الصنوبري الذي في مخه وتقولون عنه انه كان عيناً ثالثة فلماذا لا نقول ان هذه العضلات والعين الثالثة كانت للانسان نفسه في أول الامر خلقت ابتداء معه لمنفعة لها اذ ذاك ولتغير الظروف والاحوال فيما بعد أهمل استعمالها لتلك الاسباب التي نزعها فضممت حتى صارت آثاراً دلت على ما كان له في قديم الزمان لا على أنه انتقل من نوع الى نوع » الى أن قال : « كذلك لا يصح أن يقال ان الانسان كان حيواناً آخر وارتقى (لوجود آثار الحيوانات الأخرى فيه) كالزائدة ادودية التي هي عبارة عن أعور طويل في الحيوانات الأخرى ذوات الثدي وكالاقواس الخيشومية في جنين الانسان التي تقابل خياشيم الاسماك الخ » انتهى

فهو وان قال في كل هذه الامثلة قول أصحاب مذهب النشوء الا أنه لا يعترف نظيرهم بأنها دليل الانتقال والمشاركة ولا نعلم ما دليله على ذلك وقد خالف جميع العلماء الطبيعيين ماديين كانوا أو روحانيين ولا شك أن أدلته

هنا منطقية لا طبيعية اذ هو لا يطلب منا في برهاننا سواها

ولا أظن أن أصحاب مذهب الخلق النوعي الذين تصدى لنصرهم
يرضون بمذهبه وقد خالق لهم انساناً ممسوخاً أو يستطيع أن يكون كذلك أو
كان كذلك تارة بثلاثة عيون كالنسان ألف ليلة وليلة وتارة بأذنين طويلتين
أطول من أذني البغل والفرس وبأعور طويل كالحيوانات المجترة وبأصداع
للتنفس كالاسماك كل ذلك مع بقاءه انساناً وكيف يرضون منه بهذا الانسان
« الزوعة » وهو الخاق في آتم تكوين

ولكن جناب الدكتور صدق يستطيع ما لا يستطيعه سواه من العلماء
الطبيين بل من أصحاب مذهب الخلق أنفسهم وهو صاحب المباحث العلمية
في اثبات الغرائب العلوية والمعجزات السماوية بالأدلة المنطقية أليس هو
القائل لي:

« لو طالعت ما كتبته في مجلة المنار الغراء في الروح والقضاء والقدر
والمعجزات وغير ذلك بالانصاف الذي ترجوه من غيرك » الخجلت « من
اعادة طبع كتابك ولعلت أن مذهبك المادي الذي تفتخر به وتعجب ان
هو الا ظنون وأوهام ما أنزل الله بها من سلطان ولم يهتم عليها برهان منطقي
— (لاطبيعي) — صحيح كالذي نقيمه نحن على عقائدنا الدينية ولما أنكرت
أن أفسارك لو فشت في البشر لاندكت منها دعائم الفضيلة والمدنية والعمران
ولقلنا على العلم والعقل السلام »

فاذا كنت أنا يا حضرة الدكتور الاديب لم أخجل ولم أدرك ذلك
الخوف على الفضيلة والعمران البالغين ذروة الارتقاء في ظل مبادئك منذ
آلاف من الاجيال فانا معذور لأنني لم أطالع مباحثك التخريفية في المسائل

الفنية وأشك جداً أني أطالعها وأما أنت فبماذا تجيب وأنت الطبيب ! وقد
طالعت كتابي بكل تمن بل كتاب دروين المجمع عليه العلماء اليوم في أصوله
بل طالعت التشريح الانساني بل تشريح المقابلة بل التاريخ الطبيعي ومع ذلك
فلم تخجل من أن تأتينا بهذا القول الغريب اليوم في العلم وقد خالفت فيه
أصحاب الخلق الذين تريد أن تنصرهم وأصحاب مذهب النشوء الذين تعول
على مباحثهم خلقت لنا انسانك هذا الغريب الذي ما أنزل الله به من
سلطان وإيس له نظير إلا في خرافات اليونان او في متفرقات صفات سائر
أنواع الحيوان ولكنك جردتها من مصادرها وحصرتها فيه وفصلته عنها
بلادليل ولا برهان غير منطقك العالي البيان وأتينا به ممسوخاً مسخاً وقلت
لنا هذا هو الانسان وحتى يقول العلماء مثل قولك هذا يلزمهم قبله أن
يقولوا « على العلم بل على العقل السلام »

الدكتور شبلي شميل

مذهب دروين

والدكتور شميل

(رد لرد)

شاهد الانسان في عالمي الحيوان والنبات عدة حقائق ثابتة منها مسألة
الأعضاء الأثرية . فذهب العلماء والمفكرون في تفسيرها مذاهب شتى حتى
قام أخيراً دروين ووضع نظرية ارتقاء الاحياء بعضها من بعض مفسراً بها

تلك المسائل الطبيعية العلمية التي لا يمكن انكارها لانها محسوسة . ولما فشت هذه النظرية بين جمهور العلماء ظن مقلدوهم انها هي الحل الوحيد والتفسير الصحيح الذي لا يمكن الاتيان بغيره . وبنوا على ذلك ما بنوا من عقائد الالحاد والاستهتار بسائر الاديان وقالوا فيها انها من أساطير الاولين . وخزنبلات الغابرين . وكان ممن اقتفى أثرهم في ذلك جناب الدكتور شميل فصاح في كتابه صيحة ظن انها أزعجت الدين والحق يقال انه في ذلك لمن الواهين . لأن هذه النظرية الدروينية ليست هي الحل الوحيد لتلك الاعضاء الاثرية وقد بينا له ذلك في المقال السابق وذكرنا له هناك ثلاثة أوجه أخرى تحل هذه المسألة حلاً جميلاً وتجلو غوامضها وقلنا له اذا كانت هذه الالوجه (أو النظريات) محتالة ومعقولة وتفسر المسألة تفسيراً ربما كان أقرب الى الصواب من تفسير دروين لها فكيف بعد ذلك تجزم بصحة نظرية دروين دون سواها وكيف تدعى انها قطعية يقينية مع انها لا تزال في نظر جميع العلماء الطبيعيين الى الآن نظرية ظنية (theory) لا حقيقة علمية (fact) لأنها وان كانت نظرية مستحسنة وجميلة لكنها لم تصل الى درجة اليقين اذ يوجد نظريات أخرى غيرها تفسر هذه المسائل تفسيراً مماثل لتفسيركم لها ان لم نقل انه يفوقه كما سبق بيان ذلك . والدليل متى طرأ عليه الاحتمال سقط به الاستدلال واذا فلا حجة لكم على انكاركم للدين سوى الظنون والاهوام . لا الدليل والبرهان . ولا حق لكم في رميكم المؤمنين بقصر النظر واتباع الابطال . فكم من نظريات عمل بها العالم قروناً وأجيالاً واتضح لنا الآن خطأها وصرنا نسخر منها . فما يدرينا أن الاجيال القادمة ستسخر منا ومن نظريات دروين كما سخرنا من أفكار أهل القرون

السابقة ؟ ألا ترى أن العلماء في الازمنة القديمة كانوا يعتقدون أن العناصر أربعة وكان الفلكيون يجزمون بأن الارض هي مركز العالم وأن الشمس والسيارات تدور حولها وأن الأرض ثابتة ليست بمتحركة ؟ فهل اذا كنا وجدنا في تلك الأزمنة وخالفنا تلك الافكار الشائعة اذ ذاك أما كانوا يرموننا بالخرق والهذيان كما يرمينا الدكتور شميل بذلك الآن لأننا خالفنا نظرياته وجئنا له بغيرها مما لا قبل له بدحضه . ولا دليل له على بطلانه سوى قوله ان هذه الافكار لم يسمها من أحد قبلنا فأنعم بهذا من دليل وأعظم به من برهان جليل . وهكذا يكون العلم والفلسفة والا فلا

يا جناب الدكتور كون نظرياتي السابقة غريبة ولم تسمع بها من العلماء الطبيعيين ولا من جهة علماء الدين ليس ذلك دليلاً على انها في نفسها باطلة وما ذلك بالجواب الذي كنت أرجو صدوره من فيلسوف كبير وعلمة عظيم مثل جنابك . اذ لو كان دليلك هذا صحيحاً لكان مذهب دروين نفسه الذي تدين به أيضاً باطلاً وكذلك كل مذهب جديد وكل رأى في العلم حديث لأن دروين وغيره من العلماء حينما قرروا آراءهم ونظرياتهم ما كنت تسمع بها من أحد غيرهم بل كان جمهور العلماء يقفون أمامهم ويرمونهم بالخطأ والضلال أو الجنون والهذيان — فما بالك أصبحت تقلدهم الآن من غير دليل ولا برهان ؟ والأفبات برهانك ان كنت على ذلك من القادرين . وها قد اتضح للعالمين أنك في مذهبك هذا من المقلدين المستسلمين لا من الناقدين المحققين ولا من الباحثين المفكرين كما كنت أعتقد ذلك فيك بل أنت ممن يقول كما يقال له . ولا غرابة في ذلك ما دام معتقدك أن عقل الإنسان من عقل القرود

أما تشنيعك علىّ لأنني قلت ان الانسان يجوز أنه كان له ثلاثة عيون وأنه كان قادراً على تحريك أذنيه فمثل هذا التشنيع أو الاستهزاء عجيب صدوره ممن يأخذ بأغرب الآراء ويقول ان الانسان هو والقرود والغنكبوت والخنفساء في الاصل سواء

وزعمك أن أصحاب مذهب الخلق لا يقبلون مني أن الانسان كان كما ذكرت غير صحيح لأن وجود ثلاثة عيون له وقد رثته على تحريك أذنيه لا ينافي اعتقادهم أنه مخلوق في أحسن تقويم وهم لو لم يقبلوا مذهبي هذا الذي شرحتة في المقالة السابقة لصاروا مضطرين أن يقبلوا ما هو أشنع منه وأدهى وأمر. وأما دعواك أنني قلت انه كان له أصداغ للتنفس بها كالاسماك فأنا لم أقل انه كان له ذلك الا في حياته الجنينية أي قبل خروجه من الرحم ولا غرابة في ذلك عند من يعلم أن الذكر والانثى كانا في مبدأ حياتهما الجنينية سواء ولكنك أنت قد حرفت كلامي كما يتضح للناظرين في مقالاتك ومقالتي

والخلاصة أننا يا جناب الدكتور علمنا وشهد الناس أجمعون مبلغ ما عندك على معتقدك من الدليل والبرهان. وعجبنا كيف تتبجح به في كل زمان ومكان. وأشفقنا عليك لوقوفك هذا الموقف المخجل أمام أهل الأديان. ووددنا لو لم تشر مذهبك هذا وأنت غير قادر على نصرته بل ولا عارف بموضع دأبه وعلته. واعلم بان العلم والدين الصحيح ليسا ضدین لا يجتمعان بل هما اخوان متفقان ولا يفترقان فلا تتشبث برأيك بل انظر في غيره بالتروى والاستقلال والانصاف والامعان لا بالسخرية والاستهزاء فان

ذلك ليس من شيم العلماء ولا من شأن العقلاء
وما من أحد بأصغر من أن يعين ولا بأكبر من أن يعان
الدكتور محمد توفيق صدقي
طبيب سجن طره

(الهداية) لقد انهزم بهذا الرد باطل الملاحدين أمام انصار الدين ولولا ضيق المقام لاتينا بكلمة لنا في هذا الموضوع فلترجئها الى المستقبل والله ولي المحسنين :

* *

ابحاث مختلفة

آفة الأفيون

عن مجرب له خير

ملخص عن كتاب « اعتراف آكل الأفيون الانكليزي » للكاتب الانكليزي توماس دي كوينسي

كثر في انكلترا — كما يقول دي كوينسي — عدد آكلي الأفيون فانتشر بين جميع الطبقات ووصل استعماله الى أفراد من نابغى الطبقة العليا علماً وجاهاً. منهم أول لوردات أرسكين وصمويل تيلر كولريج الفيلسوف والشاعر الانكليزي المعروف

ويمزو الكاتب هذا الانتشار الى تفشي أدواء الرثة في البلاد الانجليزية لتقلب الطقس فيها. وهى من الأدواء التي تحرك صاحبها الى تطلب المسكنات الوقتية تخلصاً من آلامها المزعجة. والى أن أجور العملة في مغازل

القطن أصبحت بعد تخفيضها لا تقوم بحاجتهم الضرورية فضلاً عن أن تقى لمؤاتاتهم بالمقادير التي اعتادوا تجرعها من المواد الكحولية فاستعاضوا عنها بالأفيون الذي يجمع بين الزيتين : نشوة الخمر وزهادة الثمن

أما هو - أي الكاتب - فلجأ الى تعاطي الأفيون تسكيناً لآلام الجدار العضلي في وجهه ورأسه بما كان يتقطعها من أوجاع الضروس التي كانت تقلق راحته وتنغص عليه عيشه . وكان الجدار وحده هو الذي زين لكولريج تعاطي هذا المخدر الساحر كما يسميه دي كوينسى

بيد أن هذا الذي ذكره اذا صح أن يعتبر باعثاً فلا يصلح لأن يُعدَّ عذراً مقبولاً لاتخاذ الأفيون عادة أو « كينفاً » بالمعنى المتعارف بين متناوليهِ فان آلام الداء - كما قال - كانت متقطعة تعاوده من حين الى حين . وكان يسهل عليه أن يفرغ من معالجتها قبل أن تتمكن عادة الأفيون من نفسه وهي لا تتمسكن في أقل من أربعة أشهر فلا بد أن يكون هناك شيء من قوة اللذة أو ضعف الارادة يزين لصاحبه الاسترسال فيه

أوائل السيرة

وقبل أن نذكر كيف دخل دي كوينسى في زمرة آكلي الأفيون نأتى على طرف من أوائل سيرته التي أسهب في شرحها لنلم بشيء من البواعث الحقيقية التي حملته على الإفراط في تعاطيه الى درجة لم تُرو عن أحد قبله ولا نظها رويت عن أحد بعده الى الآن

دي كوينسى أحد ستة أخوة مات والده وهو في السابعة من عمره فتركه مع بقية اخوته الى عناية أمه وأربعة أوصياء تخيرهم من يثق بهم من

أصدقائه . فتلقى مبادئ العلوم في مدارس الاقاليم . ثم أدخل بعد أن جاوز الخامسة عشرة بيضة شهر الى مدرسة اللغة في مانشستر فأقام فيها سنتين إلا قليلاً على فيها مضض البعد عن أهله وصرامة القوانين المدرسية التي كانت لعمده

وكان دي كوينسى هزيل البنية عصبي المزاج مبتلى بمسر الهضم كما هو شأن أكثر أصحاب هذا المزاج . فاعتاد من صغره أن يمشى على قدميه في الخلاء الى مسافات بعيدة تتراوح بين الثمانية والستين ميلاً ونحوها ليستعين بكثرة المشي على سهولة الهضم وانتظام الدورة الدموية

فلما استقر في مدرسته الجديدة وجد من الحرج على حريته والتضييق في وقته ما لم يتمكن معه من الترويض والسياحة على جرى عادته . فشجب وجهه وتسلط عليه السوءاء والهواجس المضنية . فكتب الى وصيه يلتمس تسريحه من المدرسة أياماً يتمالك فيها قواه . فظها حيلة صديانية يريد أن ينطلق بها من مدرسته الى حيث يشبع نزغات الهوى ونزعات الشباب . فتغافل عنه ولم يكثرث بطلبه

فلما تقد صبره وتعاضم أمره عول على التسلل من المدرسة في غفلة مديرتها وأغرى أحد عمالها فأعانه على تنفيذ مأربه . وكان قد قرر في نفسه ألا تشرق عليه شمس اليوم المرافق ليوم ميلاده السابع عشر وهو مقيم في المدرسة . وقد كان

نخرج من مانشستر الى بلاد الغال ماشياً . ولقي أمه في طريقه فجعلت له جنياً في الاسبوع لنفقته . وهو مقدار زهيد لا يقوم بمطالب فتى مثل دي كوينسى في حالته الجسمية والعقلية . ولكنها أرادت أن لا يستطيب عيشة

الطواف والجولان فتجبره الفاقة والموز على العودة الى دروسه وكتبه
وهنا صادف دى كوينسى جميع المصاعب والمشاق التى يتعرض لها
شاب ترك شأنه فى مثل سنه . فقرر رايه على الشخوص الى لندرة . فسار اليها
ماشيا . وكان ينام فى طريقه اليها فى جبال الغال الموحشة ضناً بأجرة الفنادق
والخانات . ولم يكن عيشه فى لندرة بأطيب منه فى الطريق . فلولاً
أن قبيض الله له صير فياً رقى لعزلاته وانقراده وجادله بحصير يفتشها وخرقة
مرقمة يتغطى بها ، لهلك فى شتائها القارس مع الهالكين

وبعد أن قضى على هذه الحالة شهوراً سخر الله له من أصلح بينه وبين
أهله بعد أن أورثته هذه الفترة مرضاً بقيت معه آثاره الى آخر عمره . فأدخل
الى جامعة اكسفورد حيث أتم فيها دروس الادب واللغات كما كانت عادة
أبناء الاغنياء والمتوسطين من الانجليز ، ذلك الجليل

هذه سيرة دى كوينسى أنينا علمها بالاجمال . وهى كما ترى كلها مبهدات لما
اشتهر به فيما بعد من الافراط فى تعاطى الافيون . فلنعد الآن الى المقصود
منها ناقلين الى القراء ما كتبه بنفسه فى هذا الصدد . قال :

« تعودت منذ صغرى أن أغسل رأسى بالماء البارد مرة فى اليوم على
الاقل . فلما شعرت بوجع الاضراس لأول مرة . توهمت أن ذلك ناشئ من
الاخلال بتلك العادة . فقممت من فورى الى حوض ماء بارد فأعزقت
فيه رأسى . وعدت وشعري لا يزال مبتلاً الى الفراش ، وفى صباح اليوم
التالى استيقظت — وأقول استيقظت تساهلاً — وكأن عروق وجهى
ورأسى أوتار تطن . وقد تولانى من الألم والقلق مالا يكيف . فقضيت
عشرين يوماً لا تكاد تقمض لى عين من شدة الألم »

« وفى اليوم الواحد والعشرين — وأظنه كان يوم أحد — خرجت
من المنزل على غير هدى كأتى أحاول أن أهرب من آلامى . فقابلت أحد
زملائى فى الجامعة . وأفضيت اليه بشئ مما أجده . فأقترح على تناول
الأفيون ! »

وأطال هنا فى وصف ما احتاج بنفسه فى تلك الساعة عند سماع تلك
الكلمة التى ينطوى تحتها من معانى اللذة والشقاء ما لا يحصر . ولكنه بعد
تردد غير طويل عمل بما أشار به عليه صديقه . فشعر بفعله فى أقل من ساعة .
ورأى كأنما نقل الى عالم حافل بالبهجة والزخرف . عالم مسحور نسى فيه
آلامه وشارف بعينه السعادة التى حار الفلاسفة فى البحث عنها !! وبعد
ثمان ساعات استغرق فيها الأفيون جميع حواسه عاد الى حالته الطبيعية
قال : وللافيون مزايا اختص بها من بين بقية المخدرات التى لا عمل
لهافى الغالب الا تسكين الألم بقدر ما تخدرون الاعصاب . وتلك المزايا ثلاث
وهى كما عددها (١) تسكين الاضطرابات التى تطرأ على الجهاز المصبي و (٢) تنبيه
قوى الانسان للصفو والاذتراح و (٣) تقوية القوى الجسمية المنحطة من
أى نوع كانت فى أربع وعشرين ساعة متوالية بعد تعاطيه
الأفيون والخمر

هل يسكر الأفيون ؟ ؟

لا ! على رأى دى كوينسى ، ونعم على رأى بعض الاطباء والكيماويين
وانما عني دى كوينسى بكلامه هذا الأفيون الجاف . أما الاطباء فلعلمهم
يعنون « اللودانوم » وهو محلوله فى المواد الكحولية . وهو يسكر اذا

تُجرع منه القدر الكافي لاحتوائه على المادة المسكرة في الخمر
على أن هذا لا يفيد أنه غير مغيب فإن معنى السكر محدود عند الأطباء.
والأفيون نشوة تفترق عن نشوة الخمر بالكيفية أكثر مما تفترق
بالكمية واليك بعض ما قاله المؤلف في هذا الباب :-

«للكمير نشوة تصعد الى حد محدود ثم تأخذ بعده في المبوط السريع .
أما نشوة الأفيون فأنها تبقى مستمرة ثمان أو عشر ساعات متوالية على حالة
متشاكاة . الأولى وهيج مضطرب يترافق لهبه ، والثانية نور ساكن متوازن
لا يزيد عن قدره . الخمر تنمي في الانسان كل قواه البهيمية والانسانية على
حد سواء . والأفيون ينمي فيه قواه الادوية وحدها . هذه تزيد القوى
الداخلية التي فيه ، وهذا يأتيه من الخارج بما لم يكن يشعر به قبل تعاطيه»
وقال أيضاً :

«يُرى على شارب الخمر عرضان يُعرف بهما (أولهما) تحاذل الاعضاء
وانحلال اتصالات فينقد اللسان ويتعذر عليه تخريج بعض الكلمات . وتبدو
الرئيات للعين مزدوجة أو متطاولة . وترتخي اليدين فلا تحسنان القبض على
شيء . وتزل القدمان فتفتقدان توازنهما . وهي خاتمة لابد منها لمن يشرب
الخمر وان تفاوتوا في سرعة الوصول اليها . و(ثانيهما) أن الانتشاء الذي
تحدثه الخمر يمكن أن يشبه بقوس يرقى اليه الشارب حتى يصل الى ذروته ثم
ينحدر بخبطي مشاكاة الى قراره . فهناك نهاية متى بلغها الشارب تجاوزها الى
حيث لا يرجع اليها ولا ترجع اليه . وفي سبيل استدامتها يحدث ما نراه من
تهوس السكارى وافراطهم على غير جدوى»

أضراره ومعقاته

ولكن مع هذا ألا يخشى منه - أي الأفيون - على القوى الحيوية؟؟
وهل يخلو من الاضرار بالملكات العقلية كما هو معان في المغيبات من
المشروبات الروحية؟؟

يجيب دى كوينسى على هذا السؤال بالسلب أيضا . وهو ينكر ان
غريب ازاء ما قررته المشاهدة وتواتر الى حد الاجماع . ولكن لا بأس بأن
نسمع رأيه في هذه النقطة كما سمعناه في النقطة التي تقدمتها
ينكر دى كوينسى حدوث فتور في الجسم على أثر تعاطي الأفيون .
ويقول انه كان لا يجد نفسه أنشط ولا أكثر انشراحاً منه في الأربع
والعشرين ساعة التي تعقب تناوله

وقد ذكر أنه كان في ليلتي الثلاثاء والسبت وهما الليلتان اللتان عينهما
لأكل الأفيون - يجد في نفسه نزوعاً الى الحركة . فيخف في أولاهما الى
الى الملعب (الاوربا) ليسمع أذوار إحدى شهيرات القيان . ويطوف في ليلة
السبت طرقات لوندرة وأزقتها ودروبها ليرى العمال والفقراء منصرفين من
معاملهم وقد قبضوا أجرة الاسبوع ومعهم نساءهم وأطفالهم فيشاركهم في
أحزانهم ومسراتهم ويتداخل اذا وجد سبيلا في مشاغلهم وهمومهم . فيخفف
منها بقدر امكانه . ويعود الى منزله في أواخر الليل والميقون يغطون في النوم
ولكنه لا ينكر أنه في بعض الأحيان كان يخلد الى الراحة والانزواء
في منزله هرباً من جلبة الشوارع والأسواق . فتزجج النبأة المنخفضة والركز
الخفيف . لا يستثنى من ذلك الموسيقى والغناء ولو كان منها أعذب النغمات
وأطيب الأصوات

قال : وكنت أقرأ فلسفة كانت «الفيلسوف الألماني» فأفهم قضاياه

أو يخيّل لي أنّي أفهمها . ولعله يريد أن يستدل بذلك على أن الأفيون لا تأثير له على الملكات العقلية

ونحن نقول ان دى كوينسى مخدوع في حكمه هذا ولو كان يعمل بعد انتشائه غير المشى الذى تعود من صغره . والسماع الذى لا يكلفه جهداً ولا نصّباً . لكان له وجه في حكمه ، ولكن العادة كما يقال طبيعة خامسة . ومن نشأ على طيّ الفلوات وقطع المسافات أصبح المشى لا يكلفه من المشقة ما يصعب احتماله على آكل الأفيون

أصيب دى كوينسى في سنة ١٨١٣ — أى بعد أن مضى على أول يوم أكل فيه الأفيون ثمان سنوات — أصيب بمرض عضال في المعدة اضطره الى زيادة معيّن منه واتخاذ عادة يومية بعد أن كان لا يقربه الا مرتين في الاسبوع . نقول من أدراه أن ذلك المرض ليس احدى مخلفات الأفيون وأنه لم يكن كما توهمه ناشئاً عن انحطاط صحته وضعف بنيته ؟؟ ومن أدرانا أنه كان لا يكون أقوى بنية وأهدأ خاطراً منه لو أنه قلل من أكله ولم يستعمله في غير حاجة ماسة بمقدار ما يسكن الألم ويخفف الداء ؟؟

هذا ما لم يتعرض له دى كوينسى ولكنه ناطق بنفسه

قال في الفصل الثالث من كتابه : « مضى على عامان — وكان ذلك قبل سنة ١٨١٨ — وما قرأت ولا راجعت شيئاً مما قرأت . وقد رأيت أن المطالعة التحليلية تستلزم الاستمرار والمواظبة وأنها لا تصلح مقطعة أو مفككة . وكنت قد بدأت أشعر من أعماق نفسي بمقت شديد للمطالعة مستمرة كانت أو متقطعة » الى أن قال : « شرعت في كتابة رسالتي » أساس الاقتصاد السياسى في المستقبل ثم ظهر لي أنها انما كانت نزعاً وقتية كما

سيظهر لك من نهايتها . فاني أعددت المعدات في مطبعة قريبة واستحضرت منضداً خاصاً لهذه الرسالة . وأعلنت مرتين في الصحف عن طبعها . ثم لم ألبث أن وجدت أُمّامى مقدمة وتمهيداً على أن أكتبها ورأيتني عاجزاً عن كتابة حرف واحد منها . فلو قفت تلك المعدات وصرفت المنضد ولا تزال الرسالة راقدة الى جانب أختها الكبرى — يقصد كذلك كتاباً في العقل الانسانى كان شرع في تصنيفه ولم يتمه — « ولا ندرى كيف يعمل هذا؟ اشهر الأفيون بأحلامه — ولعلها أكبر ما في وسعه أن يبذله لأسراه كما أن هؤلاء لا يطمعون منه فيما هو أكبر منها — ولكن هذه الاحلام لا يتمتع بها الا بعد تضحية ما هو أغلى منها وألزم . بعد وهن الاعصاب واضمحلال القوى العقلية — بعد الوصول الى درجة يتصور الانسان فيها وهو في حال اليقظة — أنه تقهر مئات من السنين وأنه عاصر قدماء اليونانيين والرومانيين وأنه يرى أُمّامه في الفضاء صوراً وأشباحاً مشوهة لا وجود لها الا في ذاكرته المضطربة وأنه يصعد الى عنان السماء ويهبط الى جوف الارض . وهذا وان كان يذهب عن العقل بمجرد الافاقة من غيبوته الا اننا لانخاله يمضى دون أن يخلف وراءه أثراً يتعمق يوماً بعد يوم قال المسترنايت من المشتغلين بالكيمياء أن الأفيون لا يقتصر الحياة وأنه لا خوف على شركات التأمين من ضمانه آكله كما تضمن غيرهم . ولكن ماهى قيمة الحياة في أسر هذا السلطان الجائر الذى لا يطلق أسيره ولا يستطيع أسيره أن يفلت من قيوده !

صعوبة التخلص منه

لا نظن أن هناك ما هو أشق على العقل العامل من تعاطي الأفيون

غير محاولة الافلات منه بعد الوقوع في قبضته الحديدية

قال دى كوينسى عن زميله كولريج : —

« بلغ بكولريج في بريستول - وهذه تحققتها بنفسى - وفي غيرها من المدن الانكليزية أنه كان يستأجر الخوذية والمكارين ثم يوقعهم على أبواب الصيدليات ليترضوه بالقوة متى حاول الدخول اليها . ولما كانت سلطة ايقافه غير مستمدة من أحد سواه كان موقف أولئك المساكين من أخرج المواقف فهم سواء قاوموه أو سمحوا له بالدخول مهددون بقطع خمسة الشلنات التي كان يعطيها لهم كل يوم في مقابل هذا العمل »

وقد عانى دى كوينسى من هذا العراك النفساني ما يشبه ذلك . فانقطع عن الافيون ستة شهور ثم عاد اليه بنهم أشد من الاول كما يعود العبد الآبق الى دار سيده المتصرف فيه

وينبغي أن يعلم الذين يستسلمون ماله دى كوينسى في سبيل التمتع بلذائذ الافيون أن هذا الرجل يعد من السعداء ذوى الجود . فليس في قدرة كل انسان أن يحصل على الأفيون مصفى من أدراجه نقياً من الزغل كما كان يصل الى ذلك مقدرة يستطيع بها أن ينقص معدله اليومي من اثني عشر الف قطرة الى ما يكفي لتخدير أربع مائة وثمانين مريضاً - الى ثلثمائة قطرة كما أن الرخاء ودعة الحال ليسا في متناول كل من يتماها ولا غنى عنهما لمدارة الخاملين العاطلين

خاتمة في « المكيفات »

وقبل أن نختم هذا البحث نرى من متماته ان نأتى على نبذة فيما يطلقون عليه اسم « المكيفات » وما يدعو الى تعاطيها والعلاج الذي نخاله ينجم في

استئصالها أو الافلال منها بقدر الامكان

سهل أمر هذه « المكيفات » على أكثر الناس اعتقادهم تحليل كل ما عدا الخمر من المغيبات . وثبتهم على هذا الاعتقاد بعض مشايخ الطرق باستعمالهم لها على اختلاف أنواعها لتعنيهم كما يقولون على التهجد والعبادة ! ! وخصوصاً ما ظهر من تلك المكيفات بعد عهد التابعين والأئمة الأربعة المجتهدين . الذين يملكون دون سواهم حق التحريم والتحليل والتأويل في حكم التنزيل ! ! هذا معتقد جميع العامة والسوقة . وهم الطائفة التي لا يزعمها غير سلطان الدين أو قوة القانون . ولا تحسب المكيفات تصيب أمة بأشد من اصابتها في هذه الطائفة التي عليها مدار الاعمال البدنية وقوام حياة الامة من الوجهة المادية

وهناك فئة لا تريد أن تقترف منكراً أو ترتكب اثماً الا برخصة من الدين . ومنها الذي يقول في حشيشة حيدر : —

ولا نص في تحريمها عند مالك ولا حد عند الشافعي وأحمد

ولا أثبت النعمان تنجيس عينها نخيدها بحد الشرفي المهند

وهذه إحدى النكبات التي نجمت عن قفل باب الاجتهاد

العالمي تستهويه لذائذ هذه الآفات ونفسه خلو من كل ما يزجره عنها أو يوازن بين ضررها المحقق ونفعها الموهوم . وليس هو ممن يركن الى عقله أو يرجع الى ضميره في ادراك النافع من الضار وان ظهر أثره وعظم خطره . فيندفع اليها مسوقاً بامباله محفوزاً بشهواته فلا يعي أن يفضى به الامر الى الانهالك فيها ، فلا اعتياد عليها ، وليس وراء ذلك الا خسارة العقل أو البدن أو فقدهما جميعاً

لو أن العلماء قاموا ببعض ما يجب عليهم في هذه المحنة أو لو أن الحكومة عمدت إلى هذه الوسيلة - استفتاء العلماء ونشر النتائج في الأقاليم فيما عمدت إليه من وسائل المطاردة والتضييق على هذه الآفات . لكان عليهم أمرها ولأمنوا وقوع الأبرياء في شراكها إن كان يميز عليهم انقاذ الواقعيين فيها . فهل تراهم فاعلين ؟

هذا ما تحقق لي من بواشع الطبقات الدنيا . وللأواسط والاعلياء داء آخر يكاد يكون عاما . فانهم لا يحجبون تحريم هذه الموبقات ، ويعلم أكثرهم أضرارها ولكنهم يتجاهلون أو يخذعون أنفسهم بضروب من التعميمات والأمانى تكفي لاقتناع عقولهم المنهكة وإراداتهم الضعيفة . والمشاهدة تدل على أن هؤلاء إنما يستعينون بهذه العقاقير ليطلقوا عقولهم من قيود الحقيقة الواقعية وينطلقوا بها في عوالم الخيال فينسوا أنفسهم برهة بين الآمال الغضة والاحلام المذبة ثم يمددوا كما كانوا ليعاودوا الكرة مرة أخرى

كنت أعجب للشرقيين في شيء واحد . وإن كانت كل شؤونهم موضع العجب في هذا الزمان . فإن الخيال يكاد يكون خصوصية لهم من بين شعوب الأرض بلادهم مهيطة الديانات ومتمنزل وحي الشعر والالهام . في ديارهم نبغ أقدر الشعراء وأفصح البلغاء وبين أيديهم من كنوز القرائح وجواهر المعاني مالا تزيد الأيام إلا وفرة وسطوعا . ولكننا لا نرى مع هذا بين أمم الأرض من يفتقر افتقارهم إلى تلك العقاقير ولا تكاد تقع أعيننا على صرعى الأفيون والحشيش في غير مصر وفارس والهند والصين

كنت أعجب لهذا وللكي وجدت فيما بعد أن لا موضع للعجب فيه . إن الشرقيين خصتهم طبيعة أقليمهم بموهبة الخيال فكان عليهم أن يتعهدوها

بالغذاء الذي يلائمها وينميها . وإنما غذاء القرائح بالأدب والشعر والدين . ولكن تعليمنا ناقص من هذه الوجهة . فمطلنا تلك القرائح وغلا بعضنا فعد الشعريات من اللغو الذي نهى عن الخوض فيه . فنشأت الطبقتان المتعلمتان منا على أشد ما يكون من الافتقار إلى ما يشبع مطالب هذه المواهب المتعطشة . فإن كان هناك مسكة من دين أو بقية من تقوى في رجاء الله ويرقب فرجه وفضله متسع لمن يضيق صدره وينفذ صبره . وإن لم يكن — وهو الأعم الاكثر — فلأنما سبيله أن يلتبس الراحة والسرور الصناعي في تلك العقاقير وهذا ما نشاهده حولنا كيفما قلبنا أعيننا .

ولا أقول أن الذي ذكرته كل ما يفرى الناس بتلك المخدرات . فإن من الناس من يعاقرها تقليداً ومنهم من يلتبس فيها القوة الجسدية مغتراً بظواهرها الوقتية . ومنهم من لا يعلم داعياً لتعاطيها ولعلمهم هم أنفسهم لا يعلمون

أما الأولون فيغلب أن يكونوا من أهل الفراغ والبطالة الذين يتشاغلون بها لقلة ما يهتمون به وعلاجهم ينطوى في علاج داء آخر أحق بالنظر والعناية وأما الآخرون فأننا نستدعى لهم الأطباء ليعينوا لهم ما يلحق بالقوى البدنية من رد الفعل وتحميل الجسم فوق طاقته . ففي مثل هذه المواضع تردوج مهمة الطبيب . ويلتقي طب الأبدان بطب العقول

عباس محمود العقاد

حقيقة الاسلام

وضع حضرة السرى الفاضل محمد بك بدر مؤلفاً باللغة الانجليزية عن الاسلام .
وانا نقتطف منه هذا الفصل دلالة عليه وسنعود لتقريره بعد

وقد أرسل لنا حضرة محمد بك بدر مقدمة هذا الكتاب فرائنا أن
نشرها ليقف القراء على مبلغ اهتمام حضرة الفاضل بهذه المواضيع التي ان
انتشرت بين قراء هذه اللغة - وانا لنرجو أن يكون الامر كذلك - عادت
بفائدة لا تخفى على أحد وهذه هي المقدمة :

ان أكبر مسألة في سياسة العالم الآن هي امكان منح من لم يكن
أوروبياً جميع الحقوق التي تبيحها المدنية للرجل الاوربي لما تبين من استطاعة
الشرق الاشتراك مع أصحاب (البشرة البيضاء) بالدخول في الاستعمار
الجديد والمعيشة معهم ولقد طرق كثيرون باب هذا البحث بعضهم من تلقاء
نفسه وبعضهم أخذ يفتات على الشرق والشرقيين ولكن قد آن الوقت الذي
يجب فيه على الغربي أن يتفهم أكبر دين يدين به الشرق ولا يزال الغرب
غافلاً عن فهمه . وبدون فهم حقيقة هذا الدين يتعذر أن يوجد في النفوس
أمل مهما يكن صغيراً في فهم المسألة الشرقية والبت فيها بتأنيهاً

ولا يكفي الاستدلال على حقيقة الاسلام باساليب الاعمال وكميتها
وحركتها في البلاد الاسلامية بل لا بد من الوقوف على مبلغ الكفاءة العقلية
للامة والغرض الذي كانت ترمى اليه ديانته حينما كانت نقية من الشوائب
التي شوهتها

ان في هذا الدين أموراً غامضة أثرت على أخلاق العامة وعقولهم
وصيرتهم على ما هم فيه الآن . ولا يمكن انتقاد هذه الامور الا اذا عرفت
حقيقتها . والا فان يكون للفكر أى انسان لم يبحث في أصول الاسلام قيمة
ولمعرفة حقيقة هذا الدين يلزم الوقوف على أجوبة هذه الاسئلة الثلاثة
وهي كيف كان الاسلام في بدئه ؛ على أية حال يكون الاسلام فيما بعد ؛
الى أى عرض يرمي الاسلام ؛

وتنبلي - اسن هذا الدين الخفيف الذي لم يمض عليه مامضى على سواه
من الاديان الاخرى من القرون حالة كونه سائراً في سبيل الرقي مع ما
توبل به من اتهامات غير المتدينين به . في الاخلاق الشرقية التي تلاحظ
في الافراد الذين يدون على الامم وهم قادة الافكار وساسة الامم كما تلاحظ
في أهل المطرة من العامة وغير المتعلمين

ولعمري ما أقل اتصال الاسلام بالاسباب التي تفرقت الغرب من
الشرق ؛ وما أقل علاقة هذا الدين بما يجري في ممالك الاسلام باسم الاسلام
وما أشد أسف المسلمين على ما يجري في تلك الممالك وينفر غيرهم منهم ؛

ان الجهل بحقيقة هذه الشؤون قد حرم الشرق فائدة المساعدات التي ربما
كان الغرب يقدمها له كما ان عدم العلم بحقيقة هذا الدين منابع اضرار كثيرة
غاية في الشدة . ولقد سقط كثير من المصلحين المشهورين في هوات هذه
الاضرار لجهلهم بها . ومع اعترافنا باصلاحهم الكثير لانستطيع الصبر على
القول بانهم قد فقدوا أمراً لازماً ضرورياً وهو معرفة الشعب الذي
يحكمونه وكانت عاقبة جهلهم بهذه الشعوب وخيمة نلى سياستهم . ومما
يزيد في الاسف أن جهلهم هذا لم يمنع بعضاً من هؤلاء المصلحين من

الوقوف موقف الخطباء والحكم على أمور لا تتمدى معرفتهم لها معرفة صبيان المكاتب

ان وقوفهم هذا الموقف يعد نوعاً من أنواع التحامل على الاسلام والاقتراء عليه بل نوعاً من أنواع التشويه الذى يشوه به وجهه البريطانيون وشبهه البريطانيون فى هذه السنوات الاخيرة وكان داعية لايجاد نهضة ضد بريطانيا ولا تزال هذه النهضة تتغذى وتتمو فى جميع الممالك التى يسكنها المسلمون والاسلامية المحضة

ان ذلك الافتيات الذى لطخ صحفاً كثيرة من المطبوعات والمؤلفات التى تعد مصادر تاريخية لا يمكن الصبر عليه واحتماله الا متى عرفت أوروبا حقيقة الاسلام

لا يخرج الفكر البريطانى عن اعتقادين بشأن الاسلام . الاول بانه مذهب ذنى فاسد والثانى انه ضرب من الوثنية المأوذة خطراً على الانسانية واذا تنازل الغرب وفكر فى الاسلام وقارنه بالنصرانية خرج وهو لا يعتوره شك فى عظمة الديانة المسيحية وفضلها فى الماضى والحاضر . أما الاسلام فترا آى له فى نهاية بحثه ومقارنته انه والتسامح ضدان لا يجتمعان بل يندesh من أن المسلم يكره القتل والسلب لانه لا يعتقد الا أن محمداً « صلى الله عليه وسلم » كان رجلاً ما كراً محباً لشهوته وقائداً فاتحاً ساعده الظروف . فالغزنى لا يطرق فكره غير هذا الرأى أو أن المحمدية وخبث الطوية ان هما الا كلمتان مترادفتان فى المعنى

ومع كل ذلك فان كاتب هذه السطور يؤمل أن الغربى اذا كان يعتقد أن الاديان كلها مذاهب وآراء انسانية فليعتقد أن الاسلام أخو المسيحية

أتى بعدها لينهض بالوجود الى عالم الرق

أيها الغربى قد يكون محمد عليه الصلاة والسلام أهلاً للاحترام وقد يكون المسلمون أكفء للاعمال الشريفة

وربما كانت الجامعة الاسلامية ذلك الكابوس المزعج الخيف لدى الساسة الاوربيين على الضد مما يظنون فيه

وسيكون الفضل لمقارنة تاريخى الاسلام والنصرانية فى نظر العلم والمدنية فى تخفيض غلواء التبحرين الذين يزعمون أن تاريخ دينهم لا تشوبه شائبة وان سواه لا يستطيع أن يشق له غباراً وستكون هذه المقارنة أيضاً سبباً فى اهباط الفكر اللاهوتى من سماء التيه والخيلاء الذى اتخذ مقرأ له بمدح اللاهوتى ملك السلام (عيسى عليه السلام) حيث يقول انه قال الحق حين يقول (ما جئت لالقي سلاماً بل سينا)

ولقد يتساءل الذين يقرأون ما سطر هنا تحت عنوان « اسلام اليوم » مما يدل على فعل الذين يزعمون أنهم رسل السلام لمن يدينون بغير المسيحية هل هذه الاعمال التى تجرى الآن هي حقيقة أعمال هؤلاء الذين يدينون بالدين المسيحى ؟

والنتيجة ان مؤلف هذا الكتاب يرجو انه متى عرفت مبادئ الدين الاسلامى وأصوله على حقيقته لا يبعد ان ترفع عنه تلك التهم التى ألصقت به ظلماً وحقداً

ولا حاجة بنا الى تعزيز ما أثبتناه هنا بنصوص عربية اذ يكاد يتعذر علينا ذلك لانه من أصعب الامور الاثام باللغة العربية وآدابها وسبل النبوغ فى هذه اللغة وعرة جداً على من يريد الوصول الى غايتها فى زمن قريب اللهم

الا بعض أفراد قلائل نالوا هذه الغاية الشريفة

ولقد أخذنا من القرآن الشريف كل ما سياتى متعلقا بالاسلام وتصفهنا بعض الكتب الموثوق بها في الاحاديث النبوية والتواريخ المشهورة . فلا سبيل اذا الى نكران ان الكتاب الذين كتبوا عن الاسلام لاسيما السير وليم ميور قد فاتهم العلم باشيا كن الجبل بها داعية لتحاملهم المعيب في كتاباتهم وسببا لعدم الثقة بما كتبوا

أنا لا نتوقع من امرئ يريد التبشير بالديانة المسيحية ونشرها أن يحكم حكما لا يكون ظالما للديانة التي تراحم ديانته لذلك ربما كان السير وليم ميور صادقا في كل ما قاله باعتماده على هذه النظرية . ويخيل لي ان السير وليم قد اعتمد بدون حق على استشهادات الدكتور سبرنجر التي أقيمت الادلة القاطعة على فسادها كما انه اعتمد على الواقدي وكتابه

ولقد أثبت الباحثون الناقدون للتاريخ والحديث أنه لا يصح الاعتماد على الواقدي ولا أشك في أن هذه المفتريات التي اقتربت على النبي صلى الله عليه وسلم ترجع كلها الى كلام الواقدي

أما ما ذكر بكتابنا هذا في فصل (بخصوص النبي صلى الله عليه وسلم) فما هي الاحقائق ثابتة ومن المهم اذن الاعتماد عليها وترك تلك الخزعبلات التي يتمسك بها رسل السير وليم ميور التي ثبت عدم صحتها لدى الباحثين في تاريخ الاسلام والاحاديث النبوية . تلك الخزعبلات التي لا قيمة لها ولا أثر في اسلام هذا الزمان . وستتضح مما دوننا في كتابنا هذا صحة قولنا وتعرف حقيقة الاسلام . ذلك مع العلم بان عقلاء المسلمين اليوم أميل الى الاعتماد على القرآن والسنة الشريفة وحدهما فهم يفهمون دينهم ويفسرونه

بالفكر الوقاد والعلم الحديث

ولعمري ما مثل الدين الاسلامي كمثل المذاهب المسيحية ولا رسوله كرسله الذين يرتعدون اليوم فرقا من أى انتقاد يوجه الى مذاهبهم أو نور بحث يلقي بصيصاً من أشمته على كتبهم كلا فقد تمتع الاسلام طول هذه القرون بالبحث والانتقادات فلم تنقص شيئا من فضله ولم تكن سببا في محو أسباب التعصب . ومهما يكن من تهجين هؤلاء القوم على مقام النبي محمد صلى الله عليه وسلم زورا وبهتانا أو على القرآن الشريف كذلك فان ذلك لا يدل على وجود أى شئ في التاريخ أو في الاحاديث النبوية يخالف قواعد الديانة الاسلامية التي يرجع أصلها الى القرآن الشريف والسنة النبوية . ولعمري ماذا ضررنا لو لم يعتقد غير المسلمين بالقرآن أو برسالة محمد

ولم يكن الغرض من كلمتنا هذه بشأن ذلك النبي العربي اظهار عظمته أو الاثبات على أن كتابه سماوى بل الغرض منها اظهار حقيقة تلك الامة التي ظهر فيها الاسلام وتصويرها تصويرا صحيحا

وقد اتقيت مصر من بين سائر البلاد الاسلامية وتكلمت عنها لان لغتها هي لغة القرآن وان فيها كتابا وعلماء في هذه اللغة . ويظهر تأثير هذه الصفات على الدين الاسلامي من قراءة الفصل الاول من كتابنا هذا . أما ما جاء في التتمة من الكلام على الجامعة الاسلامية فانه يعين على اظهار حقيقة هذه النهضة التي كانت لا بد من ظهورها والتي ساء فهمها لغاية سافلة واختلقت عنها التهم في أوروبا . ولربما كان كلامنا عن النساء والحجاب في هذا الكتاب أيضا غير متفق مع ما يجري في الممالك الاسلامية . ولكن من البديهي انه يوجد في كل البلاد والامم عوائد لا فائدة فيها ولكنها مع

ذلك تتبع ولا تزول الا ببطء ويستدعى ازالها بتاتا زمن أكثر بكثير من طلب العمل بشئ جديد يتحتم عمله

أما الحج الى بيت الله في مكة وما يحفه من الاسرار التي ذكرتها في التمهة الثالثة فظاهره لا يختلف كثيراً عما ذكره يرتين ولا أجد بيني وبينه من فرق في الرأي الا أنني نظرت الى الحج نظرة مسلم يؤمن به وهو نظر اليه بغير هذا النظر فاختلف النظر أن وله دينه ولى دين . ونظراً للتغير الذي طرأ أخيراً على تركيا لم نذكر شيئاً عن حكم تركيا الذي كان في الحقيقة السبب في وقوع تلك الاشياء غير المقبولة في الحجاز مثل القتل والسلب

وانى أومل أن لا يرى الرأى تحسماً على المسيحية في مقارنتي بينها وبين الاسلام في كتابي هذا . فاني ما ذكرت الاحقائق ثابتة وسيرى .

المطلع مما ذكر في الفصل السادس من هذا الكتاب مبلغ احترام المسلم الحقيقي للدين المسيحي الحقيقي فان السلم يطلب مسيحية مقبولة معقولة يرى فيها علاقة بينها وبين ما يعتقده . ويكون الرجال ضيلاً في الوصول الى هذه العناية اذا لم تبدل طرق نشر الديانة المسيحية (التبشير) القائمة بها فئة من المسيحيين الآن تبديلاً كلياً — وهذه الملاحظات ضرورية لأكثر قراء كتابنا هذا فليس من العدل الاستشهاد على دين أيا كان من الاديان باعمال المتدينين به وانا لترجو أن تظهر في هذا الكتاب أسباب كثيرة مما كانت عوامل فعالة في تأخر الممالك الاسلامية ونرجو كذلك أن يتضح أن لا علاقة لهذه الاسباب بالدين الاسلامي نفسه البتة . لان ما يأتيه المسلمون لا يؤخذ على الاسلام نفسه ما دام القرآن صريحاً في الحكم على هذه الاعمال . وما حقيقة الاسلام الا قواعد أصلية يعتمد عليها المسلمون المتثورون وهي قواعد

تقود الامم الاسلامية الى الرقي والفلاح

للغرب أفكار مخصوصة يطبقونها على الشرق وهذه الافكار هي التي تدير دفة السياسة الغربية . ولكن للشرق أيضاً أفكار يطبقها على الغرب وكل « يزعم أنه هو الأحق بالسيادة وخصوصاً فيما يختص بالاديان » . فارجو اذا كان في كتابي هذا انتصار الاسلام أن ينظر اليه من وجهة المقصد الحسن الذي يرمى اليه . ألا وهو المصلحة العامة والوفاق والسلام . ذلك رغم أنف ذلك الكبير الذي قال « ان الوفاق بين الغرب والشرق مستحيل » حتى اذا فهم كل من الشرق والغرب حقيقة دين الآخر ساد بينهما اتحاد المقصد والرجاء في التقدم والرقي . فيصلان الى غايتهم بأسرع ما يمكن

محمد بدر



ذلك تتبع ولا تزول الا ببطء ويستدعى ازالها بتاتاً زمن أكثر بكثير من طلب العمل بشئ جديد يتحتم عمله

أما الحج الى بيت الله في مكة وما يحفه من الاسرار التي ذكرتها في التمهة الثالثة فظاهره لا يختلف كثيراً عما ذكره يرتين ولا أجد بيني وبينه من فرق في الرأي الا أنني نظرت الى الحج نظرة مسلم يؤمن به وهو نظر اليه بغير هذا النظر فاختلاف النظر أن وله دينه ولى دين . ونظراً للتغير الذي طرأ أخيراً على تركيا لم نذكر شيئاً عن حكم تركيا الذي كان في الحقيقة السبب في وقوع تلك الاشياء غير المقبولة في الحجاز مثل القتل والسلب واني أومل أن لا يرى الرأي تحسماً على المسيحية في مقارنتي بينها وبين الاسلام في كتابي هذا . فاني ما ذكرت الاحقائق ثابتة وسيرى .

المطلع مما ذكر في الفصل السادس من هذا الكتاب مبلغ احترام المسلم الحقيقي للدين المسيحي الحقيقي فان السلام يطلب مسيحية مقبولة معقولة يرى فيها علاقة بينها وبين ما يعتد . ويكون الرجال ضيقاً في الوصول الى هذه الغاية اذا لم تبدل طرق نشر الديانة المسيحية (التبشير) القائمة بها فئة من المسيحيين الآن تبديلاً كلياً — وهذه الملاحظات ضرورية لا كثر قراء كتابنا هذا فليس من العدل الاستشهاد على دين ايا كان من الاديان باعمال اتدينين به وانما نرجو أن تظهر في هذا الكتاب أسباب كثيرة مما كانت عوامل فعالة في تأخر الممالك الاسلامية ونرجو كذلك أن يتضح أن لا علاقة لهذه الاسباب بالدين الاسلامي نفسه البتة . لان ما يأتيه المسلمون لا يؤخذ على الاسلام نفسه ما دام القرآن صريحاً في الحكم على هذه الاعمال . وما حقيقة الاسلام الا قواعد أصلية يعتمد عليها المسلمون المتثورون وهي قواعد

تقود الامم الاسلامية الى الرقي والفلاح

للغرب أفكار مخصوصة يطبقونها على الشرق وهذه الافكار هي التي تدير دفة السياسة الغربية . ولكن للشرق أيضاً أفكار يطبقها على الغرب وكل « يزعم أنه هو الأحق بالسيادة وخصوصاً فيما يختص بالاديان » . فارجو اذا كان في كتابي هذا انتصار الاسلام أن ينظر اليه من وجهة القصد الحسن الذي يرى اليه . ألا وهو المصلحة العامة والوفاق والسلام . ذلك رغم أنف ذلك الكبير الذي قال « ان الوفاق بين الغرب والشرق مستحيل » حتى اذا فهم كل من الشرق والغرب حقيقة دين الآخر ساد بينهما اتحاد المقصد والرجاء في التقدم والرقي . فيصلان الى غايتهم بأسرع ما يمكن

محمد بدر



طرق التدريب

﴿ على النظافة والترتيب ﴾

مهما قال بعضهم ان الاخلاق صفات فطرية أو وراثية لا تنال بالاكتساب ولا دخل للتربية والتدريب فيها فلا يمكنهم أن يقولوا مثل هذا القول بالنسبة للملكة النظافة وحب النظام والترتيب. اذا دخلت إحدى مدارس البنات فرأيت القاعة التي أعدها رئيسة المدرسة لاستقبال الزائرين نظيفة مرتبة. وكل شئ فيها من أمتعة وأدوات على نظام. وموضوع في حله باتقان واحكام - حكمت لأول وهلة بان سيكون لهذه القاعة تأثير يبين في نفوس تلميذات المدرسة فيعتدن الترتيب والنظافة. وينفرن من التشويش والقدارة. لطول ما ألفن الحالة الاولى وغابت عن أذهانهن الحالة الثانية

هذه الطريقة في تعويد الترتيب والنظافة من خير الطرق في الايصال الى المقصود لها. انها تعتمد القدوة والعمل والمحاكاة. فاذا انضم اليها الحث والارشاد القوي بلغت التربية غايتها من السكامل والاحكام. وان نظار المدارس اذا كانوا متقنين لاحظوا تلاميذهم وتفتنوا للملابسهم وأجسادهم ودروجهم وسائر أدواتهم الدراسية: فاذا رأى الاستاذ أن أظافر تلميذه (رفقى) قد طالت وتراكم تحتها درن أسود من فضول الطعام والدمس والتراب لا ينبغي أن يترك نصيحته وارشاده. ثم اذا أراد أن يصل الى المقصود من طريق قريب لا يكتفى أن يقول له بغلظة وعنف « قص أظافرك واغسل يديك دائماً » بل يتبسم في وجهه ابتساماً لطيفاً يأخذ بيده ويعرضه على طاولة أمام تلاميذ المدرسة ثم يمسك بيده ويرفعهما ويرى رفاقه أظافره واتساخها.

ويقول لهم: ان المرة خير من (رفقى) لانها لا تقتل تنظف نفسها وتزيل الادران عن جسمها. ثم يذكر لهم أن هذه الاوساخ التي تكون في اليد والاظافر تعلق بالطعام أثناء الاكل فينزل الى المعدة ويكون له تأثير ضار في الصحة والهضم. وأن القوم الذين يعاشرهم (رفقى) يكونون معذورين اذا ألقوا من مجالسته أو تفرزوا من تناول لقمة فطير من يده

فيأخذ التلاميذ ذلك في التبسم والمصادقة على قول الاستاذ ما عدا التلميذ (جودت) فانه ينجل ويترك برأسه الى الارض ويدس يديه في جيبه. فيتفطن له التلميذ (لطفى) ويهتف بالاستاذ قائلاً (ان أظافر جودت وسخة مثل أظافر رفقى) فيعلو ضحك التلاميذ وتشتد جلبتهم. فيسكتهم الاستاذ. ثم يأخذ مقصاً صغيراً ويقول لرفقى: أما في بيتكم مثل هذا المقص فتقص أظافرك ثم يتناول أنامله واحدة واحدة ويقص ما طال منها على مرأى من التلاميذ يعلمهم كيف يصنعون اذا أرادوا فعل ذلك. ثم يغسل يديه ويدى رفقى والمقص أيضاً وينشفه بمنديل نظيف. وينبه التلاميذ الى أن كل ضرورى ليس لاجل النظافة الظاهرية فقط بل لاجل الصحة الباطنية أيضاً

وبديهي أن هذا الدرس في النظافة يؤثر في نفوس الاطفال أبلغ تأثير وربما اتصل أثره بنفوس أهليهم فتنبهوا الى نظافة أنفسهم. ومثل هذا الناظر الحكيم ناظرة مدرسة أخرى رأت التلميذة (لواحظ) ثائرة الشعر ممزقة الثياب وعلى وجنتها هنة من الدرن وصلت اليها من أنفها. فحذبتها الناظرة الى أمام المرأة ونادت بصوت حباتها وألقت عليهن درساً في النظافة والترتيب مثل الدرس الذي ألقاه الاستاذ على (رفقى) ورفاقه

وهكذا يحسن باولياء التلاميذ ومعلميهم أن يلاحظوا أجسادهم وثيابهم ويتعهدوا أمتعتهم وصناديق كتبهم وغرف مبيتهم فينبهوهم الى كل ما لم يكن موافقاً للترتيب والذوق والنظافة ويأمرهم أن يستبدلوا به أحسن منه . حتى اذا اعتادوا ذلك في صغرهم جروا عليه بعد الكبر في بيوتهم ومخازنهم ومواضع أشغالهم ويربون أولادهم عليه

وقد حدثوا أن أحد أولياء اليهود كان في صغره ينفر من الاستحمام وممارسة النظافة اليومية . فهرب مرة من خدم القصر ومر على أحد الحرس فلم يأخذ الحرسى سلامه عملاً بشارته أييه فاغتاز الولي وأسرع الى أييه باكياً وللجندى شاكياً . فقلب أبوه طرف أذنه وقال باشمزاز : ان جندياً باسلاً مثله لا ينبغي له أن يقدم الاحترام لوسخ قدر مثلك . فاطرق الملك الصغير خجلاً وانسل من بين يدي أييه عجلاً

ومن مواضع الاسف ان كانت حالتنا نحن معشر المسلمين أسوء من حالة غيرنا من الطوائف من حيث الترتيب والنظافة والمحافظة على أصول الصحة وقواعد الاقتصاد حتى كأن روح النظام لا يمكن أن تحل جسم مجتمعنا نعم قد يمارسها أحياناً افراد منا اهتموا اليها بنابل من فطرتهم أو اقتبسوها من أبناء الطوائف الاخرى اذ كان لهم منهم أصدقاء أو سفرجية وخدم في بيوتهم

ولكن ليست العبرة في مثل هذا لافراد من الامة وانما العبرة للسواد الاعظم والاعم الاغلب فهو موضع الحكم . وبحسبه تتم المفاضلة بين الطوائف قارن بين فندق وطني ونزل افرنجى . وبقال وطني وبقال رومى .

وقهوة وطنية ومثلها طليانية . ومطعم وطني ومطعم أجنبي . تر العجب العجيب وتحر في تعيين البواعث والاسباب

هات يدك أيها القارئ ولنزر منزل الرجل الذى اعتاد النظافة وألف الترتيب والنظام

لم يكن المنزل كبيراً ولا أنيق البنيان ولا ثمين الامتعة والمفروشات . وانما لكل متاع من أمتعته محل . وكل متاع موضوع في محله . ولا تقع عينك على شيء في المنزل من دون أن يكون له وبيض ولمعان من شدة النظافة . وسرير النوم والمنضدة والكراسى كلها عتيقة لكنها نظيفة جداً بحيث تحسبها قد خرجت من المعمل الآن . والاشياء التى تخبأ عادة تراها قد نظفت ولقت بأوراق او قطع من النسيج وأودعت في محالها : الثياب معلقة في الخزائن . والكتب منضدة في الكتيبات . والادوات المعدنية والزجاجية مصفوفة في الدواليب . واذا أشرقت الشمس صباحاً تفذت أشعتها من بلور النوافذ النقي وانتشرت تلعب هنا وهناك على أرض الغرفة اللامعة من شدة التنظيف

ما أحلى هذا المنزل ؟ وما أسعد ما يكون الرجل محب الترتيب في منزله ويوجد وراء المنزل حديقة صغيرة . دخلناها فرأينا أحرار البقول

تبتت بجانب الازهار . ولحنا ثغور القرنفل تلم أوراق الخس الغض ما أجل هذه الحديقة . وما أكثر ما يتحقق المحراث في ترابها حتى عاد كالحناء . لا تتخلله حصاة ولا يعلق فيه عشب غريب

وقد تحسب أن صاحب المنزل والبستان اهتم بامر الترتيب واحكام

لنسرع الى الخروج من هذا المنزل فقد كدنا نختنق ولنستنزده قليلا في
الحديقة

ولكن ليس الحديقة احسن حالا من المنزل ولا أكثر ترتيبا منه :
الماشى ملائنة بالاحجار والقشور والاضغاث واحواض الزهر استجالت الى
أدغال وأحراش صغيرة نمت فيها الاشواك والنباتات الغريبة . وقد خنقت
شجيرات الورد النخيفة

أخرج بنا
هو ذا صاحب المنزل أقبل محمر العينين يترنح في مشيته ويعربد
في كلامه

هو ولا ريب نشوان وقد خرج من محل شغله الى الحانة فانفق نصف
أجرته اليومية

أنت أيها التعس الذي لم تهتد الى الاقتصاد ولا الترتيب ولا النظام في
أشغالك ولا في بيتك ولا في عائلتك تعال معي وانظر دار جارك
أليس كل منكمما يكتسب مالا كثيرا ؟ ألم تيسر لكل منكمما وسائل
السعادة والعيش الهنيء ؟

يكفيك لاجل تحصيل السعادة لك ولاهل بيتك قليل من الارادة —
يكفيك أن تكلف نفسك حسن السلوك وتعودها النظافة والنظام والترتيب
أصلح نفسك واغثم الوقت فان الاهتمام وقوة العزيمة يوطيان الهناء والسعادة
كما ان الاهمال وضعف الارادة ينتجان التعس والتعس لا يقع على رأسك
وحدك . وانما يقع ايضا على رأس عائلتك المسكينه
المغربى

النظام فيهما اهتماما أدى الى اهمال الترتيب والنظام في أشغال مكتبه
وعمله الخاص

لا نششهد لك على خطأ ظنك بأكثر من بضع ريالات نراها بمنزلة
في جانب من الخزانة . وقد اقتصدها الرجل من نفقاته اليومية قرشا قرشا
ثم في آخر الشهر يحملها الى بنك التوفير والاقتصاد . هذا نهاره أما ليله فذاكرة
وتحصيل في (مدارس الشعب) الليلية

وانهض بنا الآن الى زيارة منزل جاره عدو الترتيب والنظام
قبل أن تصل الى البيت تعرفه من بين سائر المنازل تسمع صراخ
الاولاد يتشائمون ويتلاكمون في غيبة أمهم وأبيهم . الرجل قلما كان يأوى الى
البيت فحذت امرأته حذوه . دخلنا المنزل كل الاثاث ملوثة بالاقذار وقد
علمها طبقة كشيعة من الغبار . أدوات المنزل ومرافقه مبددة هنا وهناك
وهناك . الذباب يحوم حول بقايا الطعام المنتثرة على المائدة وله طنين يفاق
الآذان والعناكب نصبت أنوالها ومدت نسيجها في كل زاوية من زوايا
المكان والروائح الكريهة تقوح كلما تحرك الهواء خلال الجدران

لا شئ يضر الصحة ويعد الاجسام للأمراض مثل القذارة والغازات
الفاسدة . أنظر وجنات الاولاد ترها صفراء وأعضاءهم من تحت ثيابهم الممزقة
الوسخة ترها نحيفة عجفاء ارجع البصر في جوانب المنزل تنظر أوراقا سميقة
وسخة مكتوبا عليها بخط قبيح وأحرف ملتوية وملصقة على الجدران بواسطة
قطع كبيرة من العجين . أما ما تتضمنه هذه الاوراق من الحكم والنصائح
فهو (النظافة من الايمان) (ان الله جميل يحب الجمال) (ان الله يحب العبد
اذا عمل عملا أتقنه)

في موضع الحكم مقداً في موضع الاقدام محجماً في موضع الاحجام
 مؤثراً للعفاف والعدل والانصاف كتموماً للاسرار وفيما عند الشدائد علماً بما
 يأتي من النوازل يضع الامور مواضعها والطوارق في أما كتبها . قد نظر في
 كل فن من فنون العلم فأحكمه وان لم يحكمه أخذ منه بمقدار ما يكتفي به
 يعرف بغير زعة عقله وحسن أدبه وفضل تجربته ما يرد عليه قبل وروده وعاقبة
 ما يصدر عنه قبل صدوره فيعد لكل أمر عدته وعتاده ويهيئ لكل وجه
 هيئته وعادته . فتنافسوا يا معشر الكتاب في صنوف الآداب وتفقروا في
 الدين وابدأوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ثم العربية فانها ثقاف
 ألتستكم ثم أجيدوا الخط فانه حلية كتبكم وارووا الاشعار واعرفوا غريبها
 ومعانيها وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها فان ذلك معين لكم على ما
 تسموا اليه همكم ولا تضيعوا النظر في الحساب فانه قوام كتاب الخراج
 وارغبوا بأنفسكم عن المطامع سنيها ودينها وسفساف الامور ومخاقرها فانها
 مذلة للرقاب مفسدة للكتاب ونزهوا صناعتكم عن الدناءة وارباوا بانفسكم
 عن السعاية والتميمة وما فيه أهل الجهالات واياكم والكبر والسخف والعظمة
 فانها عداوة مجتنبه من غير احنة وتحابوا في الله عز وجل في صناعتكم وتواصوا
 عليها بالذي هو أليق لأهل الفضل والعدل والنبل من سلفكم وان نبا الزمان
 برجل منكم فاعطفوا عليه وواسوه حتى يرجع اليه حاله ويثوب اليه أمره وان
 أقعد احداً منكم الكبر عن مكسبه ولقاء اخوانه فزوروه وعظموه وشاوروه
 واستظهروا بفضل تجربته وقديم معرفته وليكن الرجل منكم على من اصطنعه
 واستظهر به ليوم حاجته اليه أحوط منه على ولده وأخيه فان عرضت في

السُّبُلُ وَالْجَوَابُ

وصية عبد الحميد الكاتب (١)

زجوا أن تذكروا لنا نص وصية عبد الكاتب المشهور فقد التمسناها في بعض كتب
 الادب فوجدنا بعضها محرراً (القاهرة) مستقيم
 الهداية أما بعد حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة وحاطكم ووفقكم
 وأرشدكم فان الله عز وجل جعل الناس بعد الانبياء والمرسلين صلوات الله
 وسلامه عليهم أجمعين ومن بعد الملوك المسكرين أصنافاً وان كانوا في الحقيقة
 سواء وصر فهم في صنوف الصناعات وضروب المحاولات الى أسباب معاشهم
 وأبواب رزقهم فجعلكم معشر الكتاب في أشرف الجهات أهل الأدب
 والروايات والعلم والزناة . بكم تنتظم للخلافة محاسنها وتستقيم أمورها
 وينصائحكم يصلح الله للخلق سلطانهم وتعمر بلدانهم لا يستغنى الملك عنكم ولا
 يوجد كاف الا منكم فوقكم من الملوك موقع أسماعهم التي بها يسمعون
 وأبصارهم التي بها يبصرون وألسنتهم التي بها ينطقون وأيديهم التي بها يبطشون
 فتمتعكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ولا نزع عنكم ما أصفاه من النعمة
 عليكم وليس أحد من أهل الصناعات كلها احوج الى اجتماع خلال الخير
 المحموده وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم أيها الكتاب اذا كنتم على
 ما يأتي في هذا الكتاب من صفتكم . فان الكاتب يحتاج من نفسه ويحتاج منه
 صاحبه الذي يثق به في أمهات أموره أن يكون حليماً في موضع الحلم فيها
 (١) هي رسالة للكاتب الشهير عبد الحميد كاتب مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية
 أرسلها الى كتاب عصره

الشغل محمدا فلا يصرفها الا الى صاحبه وان عرضت مذمة فليحملها هو من دونه وليحذر السقطة والزلة والملل عند تغير الحال فان العيب اليكم معشر الكتاب أسرع منه الى العراء وهو لاكم افسد منه لما فقد علمتم أن الرجل منكم اذا صحبه من يبدل له من نفسه ما يجب له عليه من حقه فواجب عليه ان يعتقد له من وفائه وشكره واحتماله وخيره ونصيحته وكتبان سره وتديير أمره ما هو جزاء لحقه ويصدق ذلك تبعاً له عند الحاجة اليه والاضطرار الى ما لديه فاستشعروا ذلك وفقكم الله من انفسكم في حالة الرخاء والشدة والحرمان والمواساة والاحسان والسراء والضراء فنعمت الشيمة هذه من وسم بها من أهل هذه الصناعة الشريفة واذا ولي الرجل منكم أو صير اليه من أمر خلق الله وعياله أمر فليرقب الله عز وجل وليؤثر طاعته وليكن على الضعيف رفيقاً وللمظلوم منصفاً فان الخلق عيال الله وأحبهم اليه أرفقهم بعياله ثم ليكن بالعدل حاكماً ولا اشراف مكرماً والفيء موفراً وللبلاء عامراً وللرعية مثاقفاً وعن أذاهم متخلفاً وليكن في محله متراضعاً حليماً . وفي سجلات خراجهم واستقصاء حقوقه رفيقاً . واذا صحب أحدكم رجلاً فليختبر خلائقه فاذا عرف حسنهما وقبيحهما أعان علي ما يوافقه من الحسن واحتال على صرفه عما يهواه من القبح بالطف حيلة وأجمل وسيلة وقد علمتم ان سائس البهيمة اذا كان بصيراً بسياستها التمس معرفة أخلاقها فان كانت رموحاً لم يهجمها اذا ركبها وان كانت شوباً اتقاها من بين يديها وان خاف منها شرودا توقاها من ناحية رأسها وان كانت حروناً وقع برفق هواها في طرفها فان استمرت عطفها يسيراً فيسلس له قيادها . وفي هذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس وعاملهم وجربهم وداخلهم . والكاتب لفضل أدبه وشريف صنعتته

ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاوله من الناس وينظره ويفهم عنه أو يخاف سطوته أولى بالرفق لصاحبه ومداراته وتقويم أوده من سائس البهيمة التي لا تحير جواباً ولا تعرف صواباً ولا تفهم خطاباً الا بقدر ما يصيرها اليه صاحبها الركب عليها . ألا فارقوا رحمكم الله في النظر واعملوا ما أمكنكم فيه من الروية والفكر تأمنوا باذن الله ممن صحبتموه النبوة والاستئصال والجفوة ويصير منكم الى الموافقة وتصيروا منه الى المؤاخاة والشفقة ان شاء الله ولا يجاوزن الرجل منكم في هيئة مجلسه وملبسه ومركبه ومطعمه ومشربه وخدمه وغير ذلك من فنون أمره قدر حقه . فانكم مع ما فضلكم الله به من شرف صنعتكم خدمة لا تحملون في خدمتكم على التقصير وحفظة لا تحتمل منكم أفعال التضييع والتبذير واستعينوا على عفافكم بالقصد في كل ما ذكرته لكم وقصصته عليكم واحذروا متالف الشرف وسوء عاقبة السرف فانها يعقبان الفقر ويدلان الرقاب ويفضحان أهلها ولا سيما الكتاب وأرباب الآداب والامور أشباه بعضها دليل على بعض فاستدلوا على مؤتلف أعمالكم بما سبقت اليه تجربتكم ثم اسلكوا من مسالك التدبير أوضحها محجة وأصدقها حجة وأحمدها عاقبة واعلموا أن للتدبير آفة متلفة وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن انفاذ علمه ورويته . فليقصد الرجل منكم في مجلسه قصد الكافي من منطقته وليوجز في ابتدائه وجوابه وليأخذ بجماع حججه فان ذلك مصلحة العقله ومدفعة للشاغل عن اكثاره وليضرع الى الله في صلة توفيقه وامداده بتسديده مخافة وقوعه في الغلط المضرب يده وعقله وآدابه . فانه ان ظن منكم ظان او قال قائل ان الذي برز من جميل صنعتته وقوة حركته انما هو بفضل حيلته وحسن تدبيره فقد تعرض بحسن ظنه او مقالته الى أن يكلاه الله

عز وجل الى نفسه فيصير منها الى غير كاف وذلك على من تأمله غير خاف ولا يقول أحد منكم أنه أبصر بالامور وأجل لعبء التدبير من مرافقه في صناعته ومصاحبه في غفلته فان أعقل الرجلين عند ذوى الالباب من رمي بالعجب وراء ظهره ورأى أن أصحابه أعقل منه وأجل في طريقته وعلى كل واحد من الفريقين أن يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اغترار برأيه ولا تزكية لنفسه ولا يكثر على أخيه او نظيره وصاحبه وعشيرته وحمد الله واجب على الجميع وذلك بالتواضع لعظمته والتذلل لعزته والتحدث بنعمته

وأنا أقول في كتابي هذا ما سبق به المثل « من تلزمه النصيحة يلزمه العمل » وهو جوهر هذا الكتاب وغرة كلامه بعد الذى فيه من ذكر الله عز وجل فلذلك جعلته آخره وتمته به تولانا الله واياكم يا معشر الطلبة والكتبة بما يتولى به من سبق علمه باسعاده وارشاده فان ذلك اليه ويده والسلام



العلماء الاستاذ

وفد مسلمي الصين الى جلالة مولانا السلطان

أرسل مسلمو الصين وفداً الى جلالة السلطان فلما تشرف الوفد بمقابلة جلالتهم رفع اليه سيفاً ثميناً ونسخة خطية من القرآن وألقى رئيسه الخطاب الآتى :

الحمد لله الذى منحنا توفيقاً ورشاداً . وأرانا سبل الهدى فاهتدينا واتحدنا اتحاداً . وقبض لأعناش هذه الامة الوسيطة والملة المنبثة على وجه البسيطة شم العرين أغر الحيا وضاح الجبين طويل الباع رجب الذراع بأسق الجرثومة باذخ الارومة قد عرك الدهر أذنيه وحلب شطريه :

يورى زنادها ويرفع عمادها ويثبت أوتادها ويسد ثغرها ويشد ازرها ويلم متفرقها ويضم متمزقها ويرأب متصدعها ويرفع متمزعها ويكلاً اكنافاً ويحفظ اطرافها ويذود عن بيضتها ويدب عن حوزتها ويسهر فى رقيتها وتيمينها ويسعى فى تهذيبها وتنميتها حتى كبيرها وصغيرها وغنيها وفقيرها فى ظل خلافته الوارف منعم البال مخاطباً اياه بلسان الحال

رأيتك ترعاني بحسن بصيرة وتبعث حراساً على وناصراً

والصلاة والسلام المترادفان ترادف الجديدين المتعاقبان تعاقب النيرين على حبيبه سيد الثقلين والفريقين وعلى آله وأصحابه المؤيدين بالنصر المبين فى بدر وأحد وحنين المنعوتين فى محكم ما بين الدفتين المترجمة مناقبهم فى الاسفار

أما بعد فان جميع من تضمنهم الكلمة الطيبة من أهالي ديار الترك
والعول والاولينغور والغريزو والقراق الصينية خصوصاً أهل كاشغر وما
جاورهما من الاصقاع والاقتار من أبناء ترك بن يافث الجد الاكرم على تباعد
خطتهم واختلاف شعوبهم لما بلغهم نبأ استواء المتبوع الاعظم على عرش
الخلافة الاسنى وتبوءه قصر الملك الموطن الاركان تضاعفت أفراحهم
وتقشمت أراحهم وأصبحت ليسانهم الدم اياماً متألفة الشمس وتطيرت
فيما بينهم بطائق التهاني ووسائل البشر تحملها طيور المودة ونجائبها وكان لديهم
يوم الجلوس المأنوس والاتحاد الملى عيداً سعيداً أرّبي بطالعه على الاعياد واسم
مولانا الخليفة الاعظم فالأ حسناً لحفظ مستقبل هذه الامة المحروسة وظل
ينهى بعضهم بعضاً بزوغ شمس الخلافة في اسعدها وافاضة هذه النعمة السابغة
على سكان الغبراء واجتثاث جراثيم النوى وتبلج اصباح السرور من
شموس أفق الدستور وتيقنوا ان الخير أجمع انما هو في التضام والتعاقد
والاتحاد والارتباط والتحاب والانقياد ولاجل ذلك اتفقت كلمة القوم على
أن يوفدوا من ينوب عنهم في عرض مراسم التبريك والتهاني على الذات
الملكية السمات الجامعة لاشات محمد الصفات بافتخار عرش الخلافة الاسمى
باستواء جلالته عليه وتسلمكم اياه وتسلمكم بسر بالها وتتوجكم بتاجها
وتعصبكم بعصابتها وتقدمكم لحرازها وحلولكم منها المحل الذي لا يكون الا
لجلالته ولا يصفو الا بهيكلكم الاقدس ولا يزهو الا بجوهركم الغالى
فاختاروا هذا الداعي للقيام بالابلاغ هذه الالوكة المباركة المزدانة بطوايع قضائهم
واحبارهم وتواقيع خيارهم وأشرافهم وساداتهم وان أسنتهم لتترنم منشدة

أنتك الخلافة منقادة اليك تجرر أذيالها

فلم تك تصلح الا له ولم يك يصلح الا لها

وبناء على ذلك فقد طويت القفار وخضت البحار وواصلت الليل
والنهار حتى منحت شهود هذا الحيا الساطع الانوار المزمري بالغزاة في رابعة
النهار والتشرف بالمشول في هذا المقام الشاغل الذي لا يناله الا من لاحظته
السعادة وغبط بحجوش الاماني

وانى أبارك للامة والملة والوطن والملك والسيف والقلم والسرير بجلوس
جلالته وتقدمكم أمور الخلافة العظمى والملك الرفيع الشأن الاقدم القدموس
والشرف الموروث كابر عن كابر وارجو من العواطف الخسروانية توجيه
الانظار والراحم العميمة الملوكية نحواً ولئلك العبيد المربوطى القلوب والعيون
بحب الدولة والملة المحروسة وشمولهم بالالتفات والحنان الخافى الذى هو
نعمة كبرى ويد عليا لمن وهبها وفاز بها ومما يجب على أن لا اكتمه أن
افتدة أولئك الاخوان وسائر جوارحهم مستقبله هذه الاعتبار السنية متوجهة
للقائم مؤثقة بموجب كتاب الله وحديث رسوله المحكمة العرى علماً بأن
(من لم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية) على ان علائق المودة تقرب
البعيد وتدنى الشاسع وتذلل الصعب وتحل المشكل وتزيح المعضل وتجعل
الحزن سهلاً والامت مستقيماً والعسر يسراً «وان على ما فى القلوب المعول»
وقد بارحتهم واكفهم مرفوعة واعناقهم مشرّبة الى حضرة ذى الجلال
والكبرياء ضارعين اليه تعالى بان يبق جلاله متبوعنا الاعظم ظل الله على
الامم امير المؤمنين وخليفة سيد المرسلين السلطان بن السلطان والخاقان بن
الخاقان سلطان البرين والبحرين وخاقان المشرقين والمغربين وخادم الحرمين

السلطان محمد خان الخامس أيد الله دولته وحرس مهجته ووفقه لتوسيع نطاق
البلاد ورفاهية العباد وكان السعد له قريناً وخديناً والنصر قائداً والمجد رائداً
أمين أمين عدد ما في السموات والارضين والحمد لله رب العالمين

درس في الاصول

باب الاجتهاد

﴿تمة ما تقدم﴾

(قال الشافعي) رحمه الله تعالى (قال) أفوجد تجوز ما قلت من
الاجتهاد مع ما وصفت فتذكره؟ (قلت) نعم استدلالاً بقول الله عز وجل
«ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا
وجوهكم شطره» (قال) فما شطره (قلت) تلقاءه قال الشاعر

ان العسير بها داء مخامرها فشطرها بصر العينين محسود

(قال الشافعي) رحمه الله تعالى فالعلم يحيط ان من توجه تلقاء المسجد
الحرام ممن نأت داره عنه على صواب بالاجتهاد للتوجه الى البيت بالدلائل
عليه لان الذي كلف العباد التوجه اليه وهو اي العبد المفهوم من العباد لا
يبرى أصاب بتوجهه قصد المسجد الحرام او اخطأ الواقع . وقديرى دلائل
يعرفها فيتوجه بقدر ما يعرف ويعرف غيره دلائل غيرها فيتوجه بقدر ما
يعرف وان اختلف توجهها

قال فان أجزت لك هذا أجزت لك في بعض الحالات الاختلاف
قلت فقل فيه ما شئت . قال أقول فيه لا يجوز . قلت فهو أنا وأنت ونحن
بالطرق عالمان . قلت هذه القبلة وزعمت خلافي على أينما يتبع صاحبه؟ قال ما
على واحد منا أن يتبع صاحبه أي فكل مكلف باجتهاده . قلت فما يجب
عليها؟ قال ان قلت لا يجب عليهما أن يصليا حتى يعلما باحاطة أي ظاهراً
وباطناً مما فهم لا يعلمان أبداً المغيب باحاطة وهما اذا يدعان الصلاة او يرتفع
عنهما فرض القبلة فيصليان حيث شآء ولا أقول واحداً من هذين وما أجد
بداً من أن أقول يصلي كل واحد منهما كما يرى ولم يكلفا غير هذا أو أقول
كلهما الصواب في الظاهر والباطن ووضع عنهما الخطأ في الباطن دون
الظاهر بان ينحرف عن القبلة المذلول عليهما قلت فأيهما قلت فهو حجة عليك
لانك فرقت بين حكم الظاهر والباطن وذلك الذي أنكرت علينا وأنت
تقول اذا اختلفتم . قلت ولا بد أن يكون أحدهما مخطئاً
قال أجل . قلت فقد أجزت الصلاة وأنت تعلم أن أحدهما مخطئ
وقال الشافعي رحمه الله تعالى وقد يمكن أن يكونا معا مخطئين قلت له
هذا يلزمك في الشهادات وفي القياس أي قد تكون العلة الموجودة في الأصل
أي المقيس عليه غير العلة في الواقع ونفس الامر قال وما أجد من
هذا بداً ولسكني أقول هو خطأ موضوع أي رفعه الشارع عنا . فقلت له وقال
الله عز وجل لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم أي محرمون بالحج أو العمرة اي تأتون
أحدهما والنية ان يقول اللهم اني اريد الحج او العمرة فيسرها لي وتقبلها
مني ثم يلبي فيقول لبيك اللهم لبيك الى آخر الصيغة الى قوله «هديا بالغ

الكعبة « وبقى الآية ومن قتله منكم متعمداً جزاء » مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة ومعنى هديا بالغ الكعبة ان يذبح في الحرم قربنة لله سبحانه وتعالى فامرهم بالمثل وجعل المثل الى عدلين يحكمان فيه فلما حرم ما أكل الصيد عاما اى للمحرم وغير المحرم كانت لذوات الصيد أمثال على الابدان اى على ان ذلك الصيد لا على قيمته فحكم من حكم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك فقضى في الضبع بكبش وفي الغزال بعنز وفي الارنب بعناق (الاثنى من اولاد المعز قبل استكمالها الحول) وفي اليربوع وهو نوع من الفأر طويل اليدين قصير الرجلين جداً بجفرة (هى ما اتسع جنباه من ولد الشاة) والعلم يحيط انهم ارادوا في مثل هذا المثل بالبدن لا بالقيم ولو حكموا على القيم اختلفت احكامهم لاختلاف أثمان الصيد في البلدان وفي الازمان واحكامهم فيها واحدة والعلم يحيط ان اليربوع ليس بمثل الجفرة في البدن ولكنها كانت اقرب الاشياء منه شبيها فجعلت مثله وهذا من القياس يتقارب تقارب العنز من الظبي ويبعد قليلا بعد الجفرة من اليربوع

(قال الشافعي) رحمه الله تعالى ولما كان المثل في الابدان في الدواب من الصيد دون الطائر لم يجز فيه اى في الصيد من الدواب الا ما قال عمر والله تعالى اعلم من ان ينظر من المقتول من الصيد فيجزى باقرب الاشياء شبيها منه في البدن فاذا فات منها شئ رفع الى اقرب الاشياء به شبيها كما فاتت الضبع العنز فرفعت الى الكبش وصغر اليربوع عن العناق فخفف الى الجفرة وكان طائر الصيد لا مثل له في النعم لاختلاف خلقته فجزى القيمة جبراً وقياساً على ما كان ممنوعاً لانسان فأثله انسان فعليه قيمة لما لكه والحكم

بالقيمة مجتمع في أنه يقوم بقيمة يومه وبلده ويختلف في الازمان والبلدان حتى يكون الطائر أي قيمته ببلدته درهم اى اربعة عشر قيراطا وفي البلدان الأخر ثمنه بعض درهم

(قال الشافعي) رحمه الله تعالى وأمرنا باجازه شهادة العدل واذا شرط علينا ان نقبل العدل فقيه دلالة على أن نرد ما خالفه وليس للعدل علامة تفرق بينه وبين غير العدل في بدنه ولا لفظه وانما علامة صدقه بما يختبر من حاله في نفسه فاذا كان الاغلب من أمره ظاهر الخير قبل وان كان فيه تقصير عن بعض أمره لانه لا يعرى أحد رأياه من الذنوب فاذا خلط الذنوب والعمل الصالح فليس فيه الا الاجتهاد على الاغلب من أمره بالتمييز بين حسنه وقيحه واذا كان هكذا فلا بد من أن يختلف المجتهدون فيه واذا ظهر حسنه فقبلنا شهادته فحاشا حاكم غيرنا فعلم منه ظهور سيئته كان عليه رده وقد حكم الحاكم في أمر واحد برد وقبول وهذا اختلاف وليس هذا اختلافاً لكن كل قد فعل ما عليه قال أفندكر حديثاً في تجويز الاجتهاد . نعم أخبرنا عبد العزيز بن محمد عن يزيد بن عبد الله بن الهادي عن محمد بن ابراهيم التيمي عن يسر بن سعيد عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا حكم الحاكم فاجتهد (الاجتهاد هو استقراغ الوسع في نيل المطلوب اما بالسنة او بالكتاب أو بالقياس أو بالاجماع) فصاب فله أجران واذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر قال وأخبرنا عبد العزيز عن يزيد بن الهادي قال حدثت بهذا الحديث أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم فقال هكذا حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة

(قال الشافعي) رحمه الله تعالى فقال هذه رواية منفردة يردّها عليّ
وعليك غيري وغيرك ولاغيري عليك فيها موضع مطالبه. قلت نعم ونحن
وأنت ممن يثبتها قال نعم. قلت فالذين يردونها يتكلمون بما وصفنا من تثبيتها
وغيره وقلت فإين موضع المطالبة فيها فقد سمى رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم فيما رويت عنه من الاجتهاد خطأ وصواباً (يقصد السائل بذلك رد ما
تقدم) من أن الاجتهاد يتعلق بالظاهر دون الباطن ويقول ان الحديث يرمى
الى ان الاجتهاد لا يكون الا ظاهراً وباطناً والا اذا تعلق بالظاهر فقط لما
انقسم الى خطأ وصواب لان الصواب عبارة عن موافقة الحكم للواقع
ونفس الامر والخطأ هو مخالفة الحكم لما في نفس الامر والواقع وتقرير
رد الامام الشافعي لهذه الحجة ان يقال انه لو كان المجتهد مكلفاً بالباطن لكان
الخطأ في وسعه ويمكنه الاحتراز عنه وكان عليه العقوبة اذا أخطأ لا الثواب
مع أن الحديث دل على انه اذا أخطأ له أجر فمقتضى الحديث أن الخطأ ليس
في وسعه وانه موضوع عنه وانه ليس مكلفاً بالباطن فبين من هذا أن
المجتهد مكلف بالظاهر دون الباطن كما تزعم فقلت فذلك الحجة عليك قال
وكيف. فقلت اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يثاب على انه يثاب
على أحدهما أكثر مما يثاب على الآخر ولا يكون الثواب فيما لا يسمع ولا
الثواب في الخطأ الموضوع أي المرفوع لانه لو كان اذا قيل له اجتهد على
الظاهر فاجتهد كما أمر على الظاهر كان مخطئاً خطأ مرفوعاً كما قلت كانت
العقوبة في الخطأ فيما نرى والله تعالى أعلم أولى به وكان أكثر أمره أن يغفر
له ولم يشبه أن يكون له ثواب على خطأ لا يسمعه وفي هذا دليل على ما قلنا انه
انما كلف في الحكم الاجتهاد على الظاهر دون المغيب والله تعالى اعلم. قال

ان هذا ليحتمل أن يكون كما قلت ولكن ما معنى صواب وخطأ. قلت له
مثل معنى استقبال السكبة يصيبها من رآها باحاطة ويتجراها من غابت عنه
بعد أو قرب منها فيصيبها بعض ويخطئها بعض فنفس التوجه يحتمل صواباً
وخطأً اذا قصدت بالأخبار عن الصواب والخطأ قصد أن يقول فلان أصاب
قصد ما طلب ولم يخطئه وفلان أخطأ قصد ما طلب وقد جهد في طلبه. فقال هذا
هكذا أفرأيت الاجتهاد أيقال له صواب على غير هذا المعنى. قلت نعم على أنه
انما كلف فيما غاب عنه الاجتهاد فاذا فعل فقد أصاب بالأتيان بما كلف وهو
صواب عنده على الظاهر ولا يعلم الباطن الا الله تعالى ونحن نعلم أن المختلفين
في القبلة وان أصابا بالاجتهاد اذا اختلفا يريد ان عينا لم يكونا مصيبين للعين
أبداً ومصيبين في الاجتهاد وهكذا ما وصفنا في الشهود وغيرهم قال أفيجوز
أن يقال صواب على معنى خطأ على الآخر. قلت نعم في كل ما كان مغيباً قال
أفتوجدني مثل هذا. قلت ما أحسب أن هذا يوضح بأقوى من هذا قال فاذا ذكر
غيره. قلت أحل الله لنا أن تنكح من النساء مثني وثلاث ورباع وما ملكت
أيماننا وحرّم الأمهات والبنات والاخوات قال نعم. قلت فلو أن رجلاً اشترى
جارية فاستبرأها (أي طاب برآءة رحمها لنفسه من الولد بحيضة) أيحل له
اصابتها قال نعم. قلت فأصابها وولدت له دهر اثم علم أنها أخته كيف القول
فيه. قال قد كان ذلك حلالاً له حتى علم بها فلا يحل له أن يعود اليها قلت
فيقال لك هي امرأة واحدة حلال له حرام عليه بنير شيء أحده هو ولا
أحدثته هي قال أما في المغيب فلم تزل أخته أولاً وآخراً وأما في الظاهر فكانت
له حلالاً ما لم يعلم وحرّما عليه حين علم وقال ان غيرنا ليقول لم يزل آتماً
باصابتها ولكنه مأثم مرفوع عنه. فقلت الله أعلم وأيهما كان فقد فرقوا فيه

بين حكم الظاهر والباطن وألغوا المأثم عن المجتهد على الظاهر وإن أخطأ عندهم ولم يلغوه عن العامد قال أجل . فقلت له مثل هذا الرجل ينكح ذات محرم منه وهو لا يعلم وخامسة وقد بلغه وفاة رابعة كانت زوجة له وأشبه لهذا فقال نعم أشبه هذا كثير قال الشافعي رحمه الله تعالى . فقال إنه ليس عند من يثبت الرواية منكم أنه لا يكون الاجتهاد أبداً الا على طلب عين قائمة معينة بدلالة وأنه قد يسع الاختلاف من له الاجتهاد . قال فكيف الاجتهاد قلت ان الله تعالى من على العباد بعقول فدلهم بها على الفرق بين المختلف وهداهم السبيل الى الحق نصاً ودلالة . قال مثل من ذلك شيئاً . قلت نصب الله لهم البيت الحرام وأمرهم بالتوجه اليه اذا رأوه وتأخيه اذا غابوا عنه وخلق لهم سماء أرضاً وشمساً وقرراً ونجوماً وبحاراً ورياحاً وجبالاً « فقال تعالى وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر » وقال « وعلامات وبالنجم هم يهتدون » فأخبر أنهم يهتدون بالنجوم والعلامات فكانوا يعرفون بمنه جهة البيت بمعونته لهم وتوفيقه إياهم بأن قد رآه من رآه منهم في مكانه وأخبر من رآه منهم من لم يره منهم وأبصر ما يهتدون به اليه من جبل يقصد قصده أو نجم يؤتم به وشمال وجنوب وشمس يعرف مطلعها ومغربها وأين تكون من المصلى بالعشى وبحور كذلك فكان عليهم تكلف الدلالات بما خلق لهم من العقول التي ركبها فيهم ليقصدوا قصد التوجه للعين التي فرض عليهم استقبالها فأدأطلبوها مجتهدين بعقولهم وعلمهم بالدلائل بعد استعانة الله تعالى والرغبة اليه في توفيقه فقد أدوا ما عليهم وأبان لهم أن فرضه عليهم التوجه لشر المسجد الحرام والتوجه لشره لا اصابة البيت بعينه لئلا حال محمد رفعت

شذوذه عليه

(الاخلاق بالطعام)

يرى بعضهم انه يستدل على اخلاق المرء من خطوط يده او من تفلطح رأسه او من استعماله القهوة او غير ذلك ولكن احد اطباء الانكليز قال : « قل لي ما تأكل لا قول لك من انت » فاستدل بان الاغتذاء بلحم البقر يورث نشاطاً وقوة . واستعمال لحم الخنزير يورث النفس انقباضاً ويسود المستقبل في النظر . ولحم الخروف يورث السويداء والاكثر من لحم العجل كثيراً مدة طويلة يضعف كل نشاط ومقاومة . وتناول اللبن الحليب والبيض يولى قوة ذهن ولا سيما في النساء والزبدة تكثر البلغم والتفاح يوافق العاملين بعقولهم والخردل من باعثات الذهن ومنشطاته

(المباحث الليمولوجية)

الليمولوجيا من العلوم الحديثة وهو يبحث عن الظواهر والتراكيب التي تبدو في البحيرات وعلى سطوحها وفي داخلها وتدل هذه الظواهر على الخصب الذي لا يتناهى في جوف الارض ولهذا العلم شأن عظيم في اميركا ففي نيكاراغا مثلاً بحيرة اسمها نيكابا هي في الحقيقة حوض ماء من الصابون تحتوى كميات وافرة من محلول بيكاربونات البوتاس والصودا وسلفات المغنيزيا اذا ثار الهواء تحدث منه امواج يتكون منها زبد يستعمله سكان ضفاف البحيرة في غسل رؤوسهم والتداوى من الامراض